

بسم الله الرحمن الرحيم

وما توفيقى إلا بالله

الحمد لله الذي لا يجيب لديه أمل الآملين، ولا يضيع عنده عمل العاملين، فهو جبار السماوات والأرضين،
والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين.

أما بعد: فإن الله تعالى خلق الدنيا دار زوال، ومحل قلق وانتقال، وجعل أهلها فيها غرضاً للفناء، ومقاساة
الشدة والبلاء، فشاب حياتهم فيها بالموت، وبقاءهم بحسرة الفوت، وجعل أوصافهم فيها متضادة، فقرن
قوتهم بالضعف، وقدرتهم بالعجز، وشبابهم بالمشيب، وعزهم بالذل، وغناهم بالفقر، وصحتهم بالسقم،
واستأثر انفراد الصفات لنفسه: قوة بلا ضعف، وقدرة بلا عجز، وحياة بلا موت، وعز بلا ذل، وغنى بلا
فقر. وكذلك بسائر صفاته.

ثم أقسم بها أجمع فقال تعالى: " والفجر، وليال عشر، والشفع والوتر ". واختلف الناس فيها من ثلاثين
وجهاً، وأشار أبو بكر محمد بن عمر الوراق، رحمه الله، إلى ما ذكرناه: حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن
يزيد النسفي بمرو، قال: حدثنا أبو عبد الله ختن أبي بكر الوراق قال: سأل أبو بكر عن قوله عز وجل "
والشفع والوتر " فقال: الشفع تضاد أوصاف المخلوقين والوتر انفراد صفات الخالق ثم ذكر نحواً مما قلنا.
وعلى هذا المثال قرن خبرتهم بالعبرة، وفرحهم بالترح، ولذلك قالت الحكماء وكفاك بصحتك سقماً،
وبسلامتك داء. حدثنا أبو عبد الله بن عبد الله بن أحمد الخطيب الميداني بزوزن، قال: حدثنا أبو قريش محمد
بن خلف الحافظ، قال: حدثنا محمد بن زنبور المكي قال حماد بن زيد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم: كفى بالسلام داء.

سمعت الفقيه أبا حامد أحمد بن محمد بن العباس البغوي بها، قال: سمعت أبا الحسن علي بن إبراهيم بن عبد
الله، قال: سمعت أبا داود سليمان بن معبد الشنجي يقول أنشدنا بعض الأدباء:

كانت قناتي لا تلين لغامز ... وألأها الإصباح والإمساء

ودعوت ربي بالسلامة جاهداً ... لمعيشتي فإذا السلامة داء

وأخبرنا محمد بن عيسى بن علي بمرو الروذ قال: أخبرنا يوسف بن موسى قال: حدثنا بشر بن عبد الغفار
الواسطي عن يحيى بن هاشم السمسار قال: قال مسهر لعطية العوفي: كيف أصبحت؟ قال: في سلامة
مشوبة بداء، وعافية داعية إلى فناء.

قال: وحدثنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون قال: حدثنا أبو حامد المستملي: حدثنا محمد بن الحجاج:

حدثنا جميل بن يزيد، عن وهب بن راشد، عن فرقد السنجي، قال: مكتوب في التوراة: يا ابن آدم أنت في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك.

وقيل للحسن: إن فلاناً في النزع. فقال: ما زال في النزع منذ خرج من بطن أمه ولكنه الآن أشد. وهذا حميد بن ثور وهو من فحول الشعراء يقول في بعض قصائده:

أرى جسدي قد رابني بعد صحة ... وحسبك داء أن تصح وتسلما

وأنشدنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله السرخسي، قال: أنشدنا أبو العباس محمد بن عبد الرحمن المدغولي، قال: أنشدنا أبو الحسن محمد بن حاتم المظفري:

يجب الفتى طول البقاء وإنه ... على ثقة أن البقاء فناء

زيادته في الجسم نقص حياته ... وليس على نقص الحياة نداء

إذا ما طوى يوماً طوى اليوم بعده ... ويطويه إن جن المساء مساء

جديدان لا يبقى الجميع عليهما ... ولا لهما بعد الجميع بقاء

وكما شاب صفات أهل الدنيا بأضدادها، كذلك شاب عقولهم بالجنون فلا يخلو العاقل فيها من ضرب من

الجنون. ولذلك أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى من أبلى شبابه في المعصية فسماه مجنوناً، حدثنا أبو

زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري، قال: حدثنا أبو إسحاق حيان البلخي قال: حدثنا محمد بن مدويه

الكرابيسي الترمذي، قال: حدثنا خالد بن خداح عن صالح المرسي عن جعفر بن زيد العبدي عن أنس بن

مالك رضي الله عنه، قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه إذ مر به رجل فقال بعض

القوم: هذا مجنون، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا مصاب إنما الجنون على معصية الله تعالى.

والجنون عند الناس من يسمع ويسب ويرمي ويحرق الثوب، أو من يخالفهم في عاداتهم فيجاء بما ينكرون،

ولذلك سمى الأمم الرسل مجانين لأنهم شقوا عصاهم فنادوهم وأتوا بخلاف ما هم فيه، قال الله جل ذكره "

كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر، فدعى ربه إني مغلوب فانتصر " وقال تعالى: "

وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلاطن مبين فتولى بركتة " يعني فرعون وقال ساحر أو مجنون.

سمعت علي بن عبد الله السمرقندي يقول: سمعت أبا القاسم الحكيم يقول: من عرف نفسه كان عند الناس

ذليلاً ومن عرف ربه كان عند الناس مجنوناً.

ولقد قال مشركو مكة في النبي صلى الله عليه وسلم حين تحداهم إلى الإيمان بالله: إنه مجنون وساحر وشاعر

وكاهن. أخبرنا أبو علي الحسين بن محمد بن هارون، قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن نصر اللباد، قال: أنبأنا

يوسف بن بلال عن محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن الوليد بن

المغيرة المخزومي قال حين حضر الموسم يا معشر قريش إن محمداً رجل حلو الكلام، وقد أغار أمره في البلاد

وأجد، وإني لا آمن أن يصدقه الناس، فابتعوا رهطاً من ذوي الرأي والحجى إلى أنقاب مكة على مسيرة ليلة

أو ليلتين، ليلقوا الناس، فمن يسأل عن محمد فليقل بعضهم أنه ساحر، وبعضهم أنه مجنون، وبعضهم أنه

كاهن، وبعضهم أنه شاعر، إن لم تروه خير من أن تروه فبعثوا ستة عشر رجلاً في أربعة من الطرق في كل

طريق أربعة نفر، وأقام الوليد بن المغيرة في مكة يقول لمن يسأل أنه كاهن ومجنون، ففعلوا ذلك فتصدع الناس عن قلوبهم، فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وكان يرجو أن يلقي الناس أيام الموسم، فيعرض عليهم أمره، فمنعه هؤلاء وفرحت قريش وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: هذا دأبنا ودأبك ما عشنا، فنزل جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر، فمر به الوليد بن المغيرة، فقال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم: كيف تجد هذا؟ فقال: بنس عبد الله هو. فأهوى جبريل بيده إلى كعبه، فقال: كفيت أمره، فمر الوليد بجائط فيه نبل لبني المصطلق وهم حي من خزاعة وعليه بردان يتبختر فيهما، فعلق سهم يزاره فمنعته الخيلاء أن ينزعه منه، فنفض السهم، فأصاب أكحله فقتله، ومر به العاص بن وائل السهمي، فقال جبريل: كيف تجده؟ فقال: عبد سوء، فأهوى جبريل بيده إلى باطن قدمه، فقال: قد كفيت أمره. فركب حماراً يريد الطائف فصرعه الحمار على شوك فدخلت شوكة باطن قدمه فتقيحت فقتلته. ومر به الحارث بن قيس بن عمرو بن ربيعة بن سهم، فقال جبريل: كيف تجد هذا؟ قال: عبد سوء. فأهوى جبريل عليه السلام بيده إلى رأسه، وقال: كفيت أمره. فنفخ رأسه ومات. ومر به الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة، فقال جبريل عليه السلام: كيف تجد هذا؟ فقال عليه الصلاة والسلام: بنس العبد هو. فضرب جبريل عليه السلام بجنبك في وجهه، وقال: كفيت أمره. فعمي ثم مات.

وأُنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم آية " فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين، إنا كفيناك المستهزين " يعني الذين سميئناهم. فلما آذى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر الله عنهم فقال: " ويقولون أننا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون " وقال: " ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون " وقال: " وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون، وما هو إلا ذكر للعالمين " وعزاه فقال: " ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك " وقال: " كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون " .

ثم ناضل ونضح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأجاب عنه جميع ما قيل فيه، ولم يكلفه الإجابة عن نفسه كما كلف غيره من الأنبياء عليهم السلام. ألا ترى أن نوحاً عليه السلام لما قيل له: " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ " قال: " يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ " وكذلك هود عليه السلام لما قيل له: " إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ " قال: " يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ " وقال فرعون لموسى عليه السلام " إني لأظنك يا موسى مسحوراً " فكلف موسى الإجابة عن نفسه فقال: " لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مشهوراً " أي هالكاً.

وفي هذا مزية للرسول صلى الله عليه وسلم على سائر الأنبياء عليهم السلام. ألا ترى كيف أجاب جل ذكره عن جميع ما قيل فيه نحو قوله تعالى: " وما علمناه الشعر وما ينبغي له " " وما هو بقول شاعر " ، " ولا بقول كاهن " " ما أنت بنعمة ربك بمجنون " وقوله تعالى: " ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطق عن الهوى " حين قالوا: إنه يقول ما يقول من تلقاء نفسه " وما صاحبكم بمجنون " وقوله تعالى: " أو لم تفكروا

ما بصاحبهم من جنة " وقوله: " إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفردى ثم تفكروا ما بصاحبكم من جنة " وقوله تعالى: " فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون " وإلى الجنون أشار قوم هود في قولهم " أن نقول إلا اعتراك بعض آهتنا بسوء " .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد قال حدثنا أحمد بن محمد بن عمير ومحمد بن عمران بن عتبة، بدمشق، قالوا: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: حدثنا يحيى بن سعيد الأموي، عن داود بن أبي هند عن عمرو بن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كان رجل من أزدشنوة يسمى ضماداً وكان راقياً فقدم مكة فسمع أهلها تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجنوناً، فأتاه فقال: إني رجل أرقى وأداوي فإن أحببت داويتك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله، أحمدته وأستعينه وأؤمن به وأتوكل عليه، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد عبده ورسوله. فقال ضماد: أعد علي. فأعاده النبي صلى الله عليه وسلم. واستعاد ثانياً. فأعاد عليه الصلاة والسلام. فقال ضماد: والله لقد سمعت قول الكهنة والسحرة والشعراء والبلغاء فما سمعت مثل هذا الكلام قط، هات يدك أبايعك، فبايعه على الإسلام، فقال: وعلى قومي. فقال عليه السلام: وعلى قومك. قال الراوي: فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك سرية فمروا على تلك البلاد، فقال لأميرهم: هل أصبتم شيئاً؟ قالوا: نعم، أداة. قال ردوها فهؤلاء قوم ضماد. وأخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسن، قال: قرأت على أحمد بن عمر بن الصلت النسوي، قال: حدثنا علي بن حزم، قال: حدثنا أبو عبد الله الضير، قال: حدثنا يزيد بن ذريع عن داود بن أبي هند، أخبرنا أبو أحمد محمد بن إبراهيم الصريمي المروزي، قدم علينا حاجاً، قال: حدثنا عبدان بن محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم بن عبد الله الخلال عن عبد الله بن المبارك عن أبي جعفر الرازي عن الربيع عن أنس، قال: قدم أبو العراف اليماني، وكان من أشرف اليمن، فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حلة حمراء وهو يقول للناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وإذا خلفه شيخ يقول: إياك وإياه فإنه مجنون كذاب، فسأل أبو العراف عن ذلك الشيخ فقبل عمه أبو لهب، فأتاه فقال: ما تقول في ابن أخيك؟ قال: لم نزل نداويه من الجنون. فقال له: تبأ لك، إن كلام المجانين متفاوت غير مستقيم، وما يشبه ابن أخيك المجانين بوجه من الوجوه. فقال له أبو لهب: فما هذا الذي يقول؟ قال وحي ورسالة وحق وصدق أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنه عبده ورسوله. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما أظهر دعوته واستفحل أمره في ثمانين فارساً من قومه مسلمين.

والجنون عند أهل الحقائق من ركن إلى الدنيا وعمل لها وطاب عيشاً. بذلك نطقت الأخبار. حدثني أبي رحمة الله، قال: حدثنا محمد ابن شوار حدثنا محمد بن رافع حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم عن عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه قال: خلق ابن آدم أحق ولولا حقه ما هنأ العيش. وسمعت أبا زكريا يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري يقول: سمعت محمد بن المسيب الأرخياني يقول: سمعت عبد الله بن الحسن الأنطاكي يقول: سمعت يوسف بن إسباط يقول: سأل سفيان الثوري: من الجنون؟ فقال: من لم يميز غيه من رشده. سمعت أبا علي محمد بن عمر الربودي يقول: سمعت علي بن الحسين بن أبي عيسى الهلالي يقول: سمعت

إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: دعك الله إلى دار السلام، وقد آثرت في دنياك المقام، وحذرك عدوك الشيطان، وأنت مؤالفه طول الزمان، وأمرك بخلاف هواك، وأنت معانيه صباحك ومساءك، فهل الحمق إلا ما أنت فيه؟.

سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن أحميد القطان البلخي يقول: سمعت أبا شهاب معمر بن محمد العوفي يقول: سمعت عبد الصمد بن الفضل يقول: سمعت خلف بن أيوب، وسأل عن الأحمق، قال: من عمل لدنياه، ووافق هواه، وآثر على ربه سواه.

وقيل لآخر: من المجنون؟ قال: من لم ييال ما نقص من دينه بعد أن سلمت له دنياه. وقيل لآخر: من المجنون؟ قال: من لم يأمن على روحه ساعة وهو يسعى في عمارة دنياه. وسئل آخر: من الأخرق؟ فقال: من خرب آخرته بدنيا غيره.

أنشدنا أبو جعفر محمد بن علي الطيان القمي بمرور الروذ قال: أنشدنا محمد بن سعيد بن سهيل الطباخي بالبصرة:

خلقنا لأمر وإن لم نكن ... به مؤمنين فإننا لنوكي
وإن نحن كنا به مؤمنين ... ولسنا نخاف فإننا لهلكي

وأنشدنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا بن دينار الهلالي قال: أنشدنا عبد الله بن محمد بن عائشة:

ومن كانت الدنيا هواه وحلمه ... فذلك مجنون وإن قيل عاقل
قال آخر: المجنون ممن إلتمس رضى الناس بسخط الله عز وجل.

أنشدني أبو الحسن محمد بن محمد بن مسعود بنسا قال: أنشدنا نفظويه، عن الخليل بن أحمد:

إني بليت بمعشر ... نو كي أخفهم تقيل

نفر إذا جالستهم ... نقصت بقربهم العقول

ومر صلة بن أشيم بقوم قد اجتمعوا على رجل مقيد، فقال: من هذا؟ قالوا: مجنون، فقال لا تقولوا مثل هذا إنما المجنون مثلي ومثلكم يعمر الدنيا ويخرب الآخرة.

أنشدنا أبو نصر أحمد بن محمد بن ملحان البصري، قال: أنشدنا بشر بن موسى الأسدي:

إلى كم تخدم الدنيا ... وقد جزت الثمانينا

ثبت العلم في قوم ... يروحون يوغدونا

فلا هم بك يعنون ... ولا هم عنك يغنونا

لئن لم تك مجنونا ... لقد فقت المجانينا

قال الشيخ أبو القاسم الحسن بن حبيب النيسابوري المفسر رحمة الله عليه: سألتني بعض أصحابي، عوداً على مبدأ، أن أصنف كتاباً في عقلاء المجانين وأوصافهم وأخبارهم، وكنت أتغامس عنه إلى أن تمادى به السؤال، فلم أجد بداً من إسعافه بطلبته، وأجابته إلى بغيته، تحريماً لرضاه، وتوخياً لهواه، وكنت في حداثة سني سمعت

كتباً في هذا الباب مثل كتاب الجاحظ وكتاب ابن أبي الدنيا وأحمد بن لقمان وأبي علي سهل بن علي البغدادي رحمهم الله فوق كل كتاب منها في جزء أو ما يقارب جزءاً، تتبعتها وتيقنتها، وضممت إليها قرائنها، وعزوتها إلى أصحابها، وألفت هذا الكتاب على غير سمت تلك الكتب، وهو كتاب يكفي الناظر فيه الترداد وتصفح الكتب، وأرجو أني لم أسبق إلى مثله. والله الموفق والمعين.

أصل الجنون

في اللغة : الجنون في اللغة الاستتار. تقول العرب: جن الشيء يجن جنوناً إذا استتر وأجنه غيره إجناناً إذا ستره قال لبيد:

حتى إذا ألفت يداً في كافر ... وأجن عورات النغور ظلامها
يعني الشمس ألفت يداً في ليل مظلم. وستر الظلام الفجاج والطرق.
وأنشدني أبو عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي:
يا غافلاً عما تجن ضلوعي ... أنسيت ويحك عبرتي ودموعي
وجن الليل بجن جنوناً وجناناً إذا دخل. ومنه قوله سبحانه: " فلما جن عليه الليل رأى كوكباً " وأجن الليل الشيء أجناناً إذا غطاه بظلامه. قال العتبي: وأجنه الليل أي جعله في ظلامه في جنة، قال الشاعر يصف مفازة:

وصرماء مذكار كأن دويها ... يعيد جنان الليل مما يخيل
حديث أناسي فلما سمعته ... إذا ليس فيه ما أئين فأعقل
وقال الشاعر:

ولولا جنون الليل أدرك ركضنا ... بذوي الرمث والأرض عياض بن ناشب
الصرماء المفازة التي تصرم الناس عن الماء أي تقطعهم. والمذكار التي لا يدخلها إلا ذكور الرجال لصعوبتها
كالمرأة المذكار التي لا تلد إلا الذكران. والجنان القلب سمي بذلك لاستتاره.
أنشدني أبو الحسن محمد بن علي القزاز لديك الجن:

خذ يا غلام عنان طرفك فاحمه ... عني فقد ملك الشمول عناني
سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى يفيق فتى به سكران
ما الشأن ويحك في فراق فريقهم ... الشأن ويحك في جنون جناني

قال العتبي: وسميت الجن لاجتنانهم عن أعين الناس. وقيل في قوله تعالى: " إلا إبليس كان من الجن " أي من الملائكة، سموها جنّاً لاجتنانهم عن الأبصار. قال الأعشى:
وسخر من جن الملائكة تسعة ... قياماً لديه يعملون بلا أجر
والجنة البستان لالنفاف الشجر. والجنة الدرع والترس لأنهما يستتران. والجنة بالكسر الجنون. والجن أيضاً، قال الله جل ذكره: " وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً " يعني حين قالوا: " أن الملائكة بنات الله، وقال في معنى

الجنون: " أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة " وأما قوله تعالى: " من الجنة والناس " قال قتادة: إن الشيطان يوسوس الجن كما يوسوس الناس، والمعنى الذي يوسوس في صدور الجن والناس. والجنن القبر، لأنه سائر، قال الشاعر:

لقد أدرجت ليلي هنالك في جنن ... فصبراً جميلاً حين ما ينفع الحزن
والجنين: الولد في بطن الأم، لأنه مستور، وتقول العرب للنبت إذا طال وكثر تكاوس والتف واستجلس
واعلنكس: تجان. وتجان الرجل إذا تكلف الجنون وليس بمجنون. وكذلك تحامق وتناوم وتكاسل، قال
العجاج:

إذا تجاوزت وما بي جزر ... ثم كسرت العين من غير عور
وكل هذا يؤول إلى معنى الاستتار، فالجنون المستور العقل، والفعل منه جن يجن جنوناً وهو مجنون، وأجته الله
فهو مجنون، وهذا الباب نادر في اللغة ونظيره أزكمه الله فهو مزكوم، وأحمه فهو محموم، وأضاده فهو
مضؤود أي أزكمه، وأحبيت فلاناً فهو محبوب، وهذا هو السائر وقد قالوا محب. قال عنتره العبسي:
ولقد نزلت فلا تظني غيره ... مني بمنزلة المحب المكرم

أسماء المجنون

في اللغة : للمجنون في اللغة أسماء كثيرة. وقد مضى تفسير المجنون. منها الأحمق، والفعل منه حمق يحمق حمقاً
وحمافة فهو أحمق، قال الشاعر:

سبحان من أنزل الأشياء منزلها ... وصير الناس مرفوضاً مرزوقاً
والجمع حمقى كقولك: قتلى وصرعى وهلكى وحرقي وغرقى، قال الشاعر:
رزقت مالاً فعش مما رزقت به ... فلست أول من حمقى بمرزوق
لو كان باللبي يعطي ما تعيش به ... لما ظفرت من الدنيا بمفروق
ومنها المعتوه: وهو الذي يولد مجنوناً. والفعل منه عته فهو معتوه.

ومنها الأخرق: وهو الذي لا يحسن التقدير والتدبير والمرأة خرقاء، قال أبو عبيدة: لا يقال خارق إلا
للمقدر بعلم وتدبير، فإذا قدر بغير علم قيل أخرق. وخرقاء، ومنه قوله تعالى: " وخرقوا له بنين وبنات بغير
علم سبحانه " قال مجاهد: أي كذبوا. قال أبو عبيدة: اختلفوا، وقرأ أهل المدينة بالتشديد وخففه الكسائي
وأبو عمر. والاسم الخرق بضم الحاء. والخرق أيضاً جمع الأخرق.

ومنها الماتق: والموق أيضاً جمع الماتق كقولهم عاتط وعوط وحائل وحول للشاة التي لم تحمل، وعائد وعود
للناقة القريبة النتاج، وفاره وفره، قال الشاعر:

وغرة مرة من فعل غر ... وغرة مرتين فعال موق
إذا لم تبق بالصحاح زلت ... من الصحاح رجلك في العميق
وحسن الظن عجز في أمور ... وسوء الظن يأمر بالوثيق
ولا تفرح بأمر أن تداني ... ولا تيأس من الأمر السحيق

فإن القرب يبعد بعد قرب ... ويدنو البعد بالقدر المسوق
أنشدنيه أبي رحمة الله تعالى، وقال: أنشدناه أبو سلمة المؤذن لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.
ومنها الرقيع والمرقان: وهو الأحمق الذي يتمزق عليه رأيه وعقله. والفعل منه رقع رقاعة فهو رقيع كقولك
بلد بلاده فهو بليد. أنشدنا أبو بكر أحمد بن سعد بن نصر بن بكار الفقيه البخاري بها، قال: أنشدنا عبيد
الله بن عبد الله:

وما الناس إلا وعاء العلوم ... وسائرهم غنم في قطع
ومنها المسوس: وهو الذي يتخبطه الجن أو الشيطان والاسم المسمى؟ ومنه قوله جل ذكره كالذي
يتخبطه الشيطان من المس.

ومنها المخبل والمخبل: والاسم الخبل ويقال: رجل مخبل ومخبول ومخبيل، قال الأعشى:
علقتها عرضاً وعلقت رجلاً ... غيري وعلق أخرى غيرها الرجل
وعلقته فتاة ما يحاوها ... من قومها ميت يهذي بها وهل
وكلنا مغرم يهذي بصاحبه ... ناء ودان ومخبول ومخبيل

ومنها الأنوك: والفعل منه نوك ينوك فهو أنوك كقولك حول فهو أحول، وسألت أبا منصور الامام
الأزهري رحمه الله بهراة: فلم يذكر منه فعلاً. والاسم النوك بضم النون والجمع نوكي قال الشاعر: و..
وكيف يكون النوك إلا كذلكا.
وأنشد الأصمعي:

تضحك منه شيخة ضحوك ... واستنوكت وللشباب نوك
ومنها البوهة: قال الشاعر:

ويا هند لا تكحي بوهة ... عليه عقيقته أحسنا

ومنها الذولة: بالذال المعجمة. والموتة ضرب من الجنون، ولم أسمع منه للمجنون إسمًا.
سمعت الإمام أبا حامد الخارزنجي يقول: النطاة الجنون، قال: وتقول العرب: فلان من فرط نطاته لا يعرف
قطاته من لطاته. القطة مقعد الردف من الدابة واللطة دائرة في الجبهة.
ومنها العرهاء: قال الشاعر:

ومن لم يواس الناس مما بكفه ... فذلك عرهاء من العقل ملبس

ومنها الأولق: والفعل منه ولق يولق. والولق الاسم. وأما الولق اللام فهو الكذب. وقرأت عائشة رضي الله
عنها " إذ تَلُوقُوه بألستكم " والفعل منه ولق يلق ولقاء، قال الأعشى:

ويصبح من غب السري فكأنما ... ألم بها من طائف الجن أولق

ومنها المهووس: والاسم الهوس، وهو ضرب من الجنون، فإن كان قدرًا؟ في جنونه فهو أغفل.

ومنها الهلباجة: وهو الأحمق الكثير الأكل قاله الخليل بن أحمد ومنها اللكع: وهو الأحمق اللئيم. وقال غيره:
هو العبد.

ومنها الجذب: قال ابن السكيت: يقال رجل جذب وفيه جذب أي فضل الحمق.
ومنها المهجاجة: قال الأصمعي يقال للرجل الأحمق الكثير الخطأ رجل هجاجة.
ومنها الرشاع: قال ابن السكيت: والزهدن الأحمق أيضاً، وأنشد في كتاب الألفاظ:
قلت لها إياك أن تركني ... عندي في الجلسة أو تليني
عليك ما عشت بذات الزهدن
ومنها الملق: قال الأصمعي: هو الأحمق. والجعبس الأحمق أيضاً، قال الراجز:
لما رأيت سد الليل ادمسا ... ليلاً دجوجي الظلام عرمسا
وصم كسراه الغيام الجعبسا
والهلباجة: وقد ذكر آنفاً. قال ابن السكيت: قال خلف ابن الأحمر: قلت لابن كبشة بنت السعترى: ما
الهلباجة؟ فتردد في صدره ما لم يتهياً له إخراجها، ثم قال الهلباجة الأحمق الذي لا خير عنده.
وقرأت في كتاب النوادر لأبي زيد سعيد بن أوس: رجل مألوس أي مجنون وقد ألس إذا جن.
ومما يضارع هذا الباب ويقرب منه وليس بعينه المتيّم وهو العبد تيمه الحب، أي عبده واستعبده ومنه تيم
اللات كأنه عبد اللات.

ومنها الأهوج: والفعل منه هوج بهوج هوجاً فهو أهوج.

ومنها الهائم: وهو ذاهب العقل.

ومنها المدله: قال الشاعر:

تركوني مدلهاً ... أرتجي حج قابل

بعدهما كنت ناسكاً ... زال نسكي بباطل

ومنها الأبله: والفعل منه بله.

ومنها المستهتر: قال الشاعر:

فبعثن ورداً للخلي وزدن في ... برحاء وجد العاشق المستهتر

ومنها الواله: والاسم الوله، وهو عند العرب الذي فقد ولده ففقد صبره قال الأعشى يصف بقرة:

فأقبلت والهاً ثكلى على عجل ... كل دهاها وكل عندها اجتماعا

والهبنقع الأحمق المبالغ في حقه، قال الشاعر:

ومهور نسوتهم إذا ما نكحوا ... عدوي وكل هبنقع تنبال

فهذه كلها أسماء المجانين وعيارها المجنون والأحمق.

الأمثال المضروبة في الحمق والحمقى

منها قولهم تحسبها حمقاء وهي باخس أي إنما مع حمقها تظلم الناس، قال ثعلب: هكذا جرى المثل بغيرها،
ومثله خرقاء عيابة أي مع حمقها تظلم غيرها وتعيب غيرها، قال خلف الأحمر: ومن أمثالهم أحمق بلغ أي انه
مع حقه يبلغ حاجته. ومن أمثالهم فيه خرقاء ذات نيقة أي أنها حمقاء وهي مع ذلك تتأق في الأمور، قال أبو

عبيد: فإذا اشتد موق الرجل قيل ناطة مدت بماء والثأطة الحمأة فإذا أصابها ماء ازدادت فساداً، قال الأصمعي: ومنها أحق من رجلة وهي البقلة الحمقاء، وحمقها أنها تنبت في السروح ومسائل الأودية فيجيء السيل فيجرفها. وشبه بما أهل الحقائق من يعمر دنياه وهو يعلم فناءها، قالوا: مثل عامر الدنيا الباني على الماء. والماء لا يثبت عليه شيء.

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروي قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثنا إسحاق ابن إسماعيل قال: أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد قال: قال عيسى ابن مريم عليهما السلام: من ذا الذي يبني على موج البحر داراً تلکم الدنيا فلا تتخذوها قراراً. وقال أيضاً: الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها. وقال سابق البربري في قصيدة له:

لكم بيوت بمستن السيول وهل ... يبقى على الماء بيت أسه ملر

وقال أبو عمرو الشيباني: ومن أمثالهم في الحمق إنه لأحق من ترب العقد والعقد عقد الرمل، وحمقه إنه ينهار ولا يثبت فيه التراب يضرب للذي لا يثبت ولا يستقر على حال.

قال ابن الكلبي: ومن أمثالهم في هذا إنه لأحق من دعة وهي امرأة عمرو بن جندب بن العنبر ووصف من حمقها ما يسمح ذكره، وقال الأصمعي: ومن أمثالهم أحق من المهوره إحدى خدمتيها وذلك أن زوجها قضى حاجته منها ثم طلقها فقالت أعطني حقي فنزع إحدى خدمتيها وهما الخلخالان من رجلها فأعطاها فسكتت ورضيت.

وتقول العرب للمبالغ في الجنون. جنونه مجنون. سمعت أبا الحسن محمد بن الحسين الحاكم ببوشنج يقول: سمعت جدي عبد الملك بن محمد ابن عدي يقول: سمعت جدي يقول: سمعت الربيع بن سليمان يقول: قال الشافعي رحمه الله لبعض أصحابه:

جنونك مجنون ولست بواجد ... طيباً يداوي من جنون جنون

ومنها الضبع وزعموا أنها أحق الدواب فإنها تشد يداها ورجلاها ويقال لها لست ها هنا فتسكت وترضى. وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: لا آكون مثل الضبع تسمع الدم فتخرج حتى تصاد.

وكنيتها أم عامر يضرب بها المثل فيقال: خامري أم عامر، كما قال الشاعر:

فلا تدفوني إن دفني محرم ... عليكم ولكن خامري أم عامر

أي دعوني للتي يقال لها أم عامر حتى تأكلني ولا تدفوني بعد موتي. وأنشدني أبي رحمة الله.

عرقب الضبع وقالوا غائب ... رضي القول وأغضي وصبر

أي دعوني للتي يقال لها أم عامر حتى تأكلني ولا تدفوني بعد موتي. وأنشدني أبي رحمة الله.

عرقب الضبع وقالوا غائب ... رضي القول وأغضي وصبر

ومنها العقق، تقول العرب إنه لأحق من العقق وحمقه أن ولده أبدأ ضائع. قال ابن الكلبي: تقول العرب إنه لأحق من حماقة عقق وذلك لأنها تبيض على الأعواد فر بما وقع بيضها فانكسر.

أسماء جنون الدواب

تقول العرب الجنون الابل الهيام وهو داء يأخذها فتهيج وتقيم. ويقال لجنون الشاة الثول وهي ثولاء، و لجنون الكلب الكلب فهو كلب كلب. والسعر ضرب من جنون النوق، تقول العرب ناقة مسعورة إذا كانت مجنونة. وتأول بعضهم قوله جل ذكره إن الجرمين في ضلال وسعر أي جنون.

ضروب المجانين

المجانين على ضروب، فمنهم المعتوه وقد مضى تفسيره ومنهم المرور وهو الذي أخرقته المرة، ومنهم المسوس وهو الذي يتخبطه الجن والشياطين، ومنهم العاشق الذي تيمه الحب فأجنه. سمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن مسعود النسوي بها، يقول: سمعت أبا محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عيسى السركري؟ ببغداد يقول: سمعت زكريا بن يحيى بن خلاد المنقري يقول: سمعت الأصمعي يقول: لقد أكثر الناس في العشق فما سمعت بأوجز ولا أجمل من قول أنشدنا بعض نساء الأعراب وسألت عن العشق فقالت: داء و جنون.

أنشدنا أبو محمد أحمد بن محمد بن إسحق الخزلجي؟ بمرق قال: عبد الله بن بهلول بقرميسين. وما عاقل في الناس يحمده أمره ... ويذكر إلا وهو في الحب أحق وما من فتى قد ذاق بؤس معيشة ... من الناس إلا ذاقها حين يعشق سمعت أبا الحسن مظفر بن غالب الهمداني يقول: سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولي قال: اعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائداً، وقال له: ما عراك يا بني؟ فأنشأ يقول: أيها العاذلون لا تعذبوني ... وأنظروا حسن وجهها تعذبوني وأنظروا هل ترون أحسن منها ... إن رأيتم شبيها فاعذبوني في جنون الهوى وما بي جنون ... و جنون الهوى جنون الجنون قال: ففتبع أبوه الحال حتى وقع عليها فابتاع الجارية التي شغف بها بسبعة آلاف دينار ووجهها إليه.

أنشدني أبو منصور مهلهل بن علي العنزري. أبدر بدا أم وجهك القمر السعد ... أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد أنرجسة هاتيك أم هي مقلة ... أتفاحة ذاك المضرج أم خد أموج إذا وليت أم كفل بدا ... أغض لجين في الغلالة أم قد كذا لو تأملت الذي بي لقلت لي ... أهذا جنون ثابت بك أم وجد سمعت أبا العباس الرازي الصوفي يقول: سمعت الشبلي يقول ذات يوم لأصحابه: ألسنت عندكم مجنوناً وأنتم أصحاب؟ زاد الله في جنوبي وزاد صحتكم! ثم أنشد. قالوا جنتت بمن هموى فقلت لهم ... ما لذة العيش إلا للمجانين! أنشدنا أبو العباس أحمد بن سعيد المغربي قال: أنشدنا أبو عمرو محمد ابن إسماعيل الضيرير قال حدثنا وأنشدنا أيوب بن غسان وهو يقول:

ودعيتي بعبرة من جفون ... أضمرت فيضها حذار العيون
ومضت خلفها وقد خلفتني ... إلف ضر وفورة وجنون
فشكوت الفراق بالنفس الدا ... ثم حتى هتكت سر الظنون
أنشدني أبو سعيد أحمد بن زاوية الفارسي الكاتب:
ألا قل للأحبة يرقهونا ... فإن الحب أورثنا الجنونا
أنشدني أبي رحمه الله قال أنشدنا أبو محمد الزنجاني لبعض الأعراب:
أحبك حباً لو علمت ببعضه ... أصابك من وجد عليك جنون
لطيفاً على الأحشاء أما نهاره ... فسكت وأما ليله فأئين
وحكى لي عن حبيب بن محمد بن خالد الواسطي قال دخلت يوماً على علي بن هشام فوجدته باكياً حزيناً
ذاهب النفس فأنكرته وسألته عما دهاه، فقال أعلم أي مررت الآن بالخرية فرأيت مجنوناً مصفداً بالحديد
يتمرغ في التراب ويقول:

ألا ليت أن الحب يعشق مرة ... فيعرف ماذا كان بالناس يصنع
يقولون خذ بالصبر إنك هالك ... وللصبر مني في مصابي أجزع
سمعت أبا علي الحسن بن أحمد القزويني يقول سمعت بعض السياح يقول رأيت مجنوناً في القفار وهو يرقص
ويقول:

حكيم في القفار شردي ... آه من الحب ثم رآه
وهذا الباب يطول شرحه إلا أنه يذكر في أثناء أخبار المجانين وستراه في موضعه إن شاء الله تعالى.

فصل

من اعتقد بدعة وارثك كبيرة فأدركه شؤمها فجن

حدثنا أبو علي الحسن بن محمد بن سبطم؟ الدهانيني البلخي قدم علينا حاجاً قال حدثنا هشام بن عمار عن
سعيد بن يحيى قال رأيت مجنوناً بمص مصروراً قد اجتمع عليه الناس، فدنوت منه، فقلت آله إذن لكم أم
على الله تفترون؟ فجرى على لسانه لسنا ممن يفتري على الله دعه يميت فإنه يقول بخلق القرآن.
أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس ببوشنج قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الهروي قال حدثنا ابن
أبي الدنيا قال حدثنا الحسين بن عبد الرحمن قال لقيت بمنى مجنوناً مصروعاً كلما أراد أن يؤدي فريضة أو
يذكر الله صرع فقلت على ما يقوله الناس إن كنتم يهوداً فبحق موسى وإن كنتم نصارى فبحق عيسى وإن
كنتم مسلمين فبحق محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما خليتم عنه، فقالت الجن لسنا يهوداً ولا نصارى ولكننا
وجدناه يبغض أبا بكر وعمر فمنعناه من أشد أمورهم.

حدثنا أبو عبد الرحمن عمر بن أحمد بن علي الجوهري بمرو قال حدثنا أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد

الكريم قال حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مهزاد، حدثنا مسلمة، أخبرنا عبد الله بن هبة عن يزيد بن أبي حبيب قال بلغني أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان رضي الله عنه جنوا.

فصل

من يسمى مجنوناً بلا حقيقة

كالشاب والمتصايب والسكران

كانت العرب تقول الشباب شعبة من الجنون. أنشدنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحارث المؤدب بيوشنج عن أحمد التمامي إنه أنشده وقال:

ما العيش إلا بجون الصبي ... فإن تولى فجنون المدام
كأساً إذا ما الشيخ والى بها ... فيتردى برداء الغلام

فصل

من جن من خوف الله سبحانه

حدثنا أبو الفضل العباس بن هزار بن محمد بن هزار بن الخطيب، بمرو، قال حدثنا أبو القاسم بن عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، قال حدثنا علي ابن الجعد أخبرنا شعبة قال بغني عن عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز النخعي إنه كان يصلي في مسجد على عهد عمر رضي الله عنه فقرأ الامام ذات ليلة " ولمن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّانٌ " فقطع صلاته وجن وهام على وجهه ولم يوقف له على أثر.

حدثنا أبو الحسن بن موسى السلامي بهراة، قال حدثنا أحمد بن يعقوب البسطامي حدثنا خلف بن عمر الصوفي قال سمعت أبا يزيد يقول: جنتني بي فمت ثم جنتني به فعشت ثم جنتني عني فغبت ثم أوقفني في رجة الجنون وسألني عن أحوالي الثلاث فقلت الجنون بي فناء والجنون بك بقاء والجنون عني وعنك ضناء وأنت في كل الأحوال أولى بنا.

حدثنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب قال حدثنا أبو علي الحسن ابن محمد بن أحمد البغدادي قال: حدثنا محمد بن يحيى بن مسلم عن صالح المري أن رجلاً من الزهاد مر ذات ليلة برجل يقرأ " وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ " فجعل يصيح ثم مزق ثيابه وغلب على عقله، فأخذ وقيد ومات على ذلك.

أخبرنا أبو جعفر محمد بن سليمان بن منصور قال حدثنا ابن أبي الدنيا قال حدثنا الصلت بن مسعود الجحدوي: حدثنا فضل بن سليمان عن يونس بن محمد بن فضاله قال: خرجنا مع الربيع بن خيثم فمرنا على حداد ومعنا فتى فقام الربيع ينظر إلى حديدة في النار فوقع الفتى فأغمي عليه فتركاناه ومضينا لحاجتنا فعدناه فإذا هو على تلك الحال ثم بلغنا إنه جن فمات في جنونه.

حدثنا محمد بن سليمان قال حدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثني مالك ابن ضيغم قال: مر بكر بن معاذ برجل يقرأ " وأندرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع " فاضطرب وخر ثم صاح ارحم من أنذر ثم لم يقبل إليك بعد النذير ! ثم غلب على عقله فلم يفق حتى مات.

وحدثنا أبو جعفر محمد بن شيب حدثنا هشام بن عبد الله قال: نظر الحارث بن سعيد في قبر منحسف فوق مغشياً عليه ثم رفع وقد زال عنه عقله فبقي كذلك حتى مات.

حدثنا أبو زكريا محمد بن إبراهيم بن إسحاق بن معبد الآملي قال حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين الدردي: حدثنا العباس بن الفرج الرياشي عن محمد بن يونس البكري قال: سمع حذيفة العابد رجلاً يقرأ وعرضوا على ربك صفا فهام على وجهه ولم ير بعد.

أخبرنا أبو القاسم منصور بن العباس حدثنا محمد بن إبراهيم بن خالد الهروي حدثنا أبو الطيب محمد بن أحمد اليافى بفلسطين حدثنا الحسن بن محمد بن المبارك الصوري عن أبيه قال: قرأ رجل بين يدي معاذ ابن نصر " وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر " الآية فجعل يتمرغ في التراب ويضطرب ويصيح ثم هام على وجهه ولم يوقف له على أثر.

وأخبرنا منصور عن محمد بن إبراهيم عن أبي الدنيا عن محمد بن الحسين عمار بن عثمان عن بشر بن عبد العزيز قال: كان عمر بن ذر لا يخرج إلا إلى الصلاة أو الجنائز فسمع قارئاً يقرأ " وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر " فصرخ صرخة فحولط فلم يزل على ذلك حتى مات.

فصل

من تجان وتحاق وهو صحيح العقل

وهم ضروب، فمنهم من تعاطى ذلك ليرى شأنه ويستره على الناس سمعت أبا موسى عمران بن محمد بن الحصين يقول: سمعت إبراهيم بن الحارث الكرمانى يقول سمعت أحمد الدورقي يقول قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة شيخاً في عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى على صور النا ... س وإن فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت إليه قهلت أجنون أنت ؟ قال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم مر وأنشأ يقول:

واريت أمري بالجنون عن الورى ... كيما أكون بواحدي مشغول

يا من تعجب في الأنام لمنطقي ... ماذا أقول ومنطقي مجهول

سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول سمعت أبا بكر ابن طاهر الأبهري يقول سمعت عمران بن علي الرقي يقول: كان إبان ابن سيار الرقي رئيس القراء والفقراء بالرقعة وكان مع ذلك أهل علم فأكل الذئب نبياً له وكان واحده، وكان مشغولاً به، ولم يتمالك، وهام على وجهه، فغاب ملياً ثم عاد وقد برم

بالناس. فجنن نفسه، وجعل لا تطمئن به دار ولا يستقر به قرار، فخبرت بشأنه فأثيته بأصحاب لي، فألفيته في الجامع يكلم بعض الأساطين، فقلت يا إبان أجننت؟ قال نعم عندك وعند اضرابك. فقلت كيف؟ فأنشأ يقول:

جننت عن عقلي لديكم وما ... قلبي والله بمجنون

أجن مني وإله الورى ... من اشترى ديناه بالدين

وكت قد ابتعت ضيعة من بعض السلاطين فعلمت انه يعينني فتسورت ووالله ما عاودته بعد.

وقال الفرزدق أمر عمرو بن هند ملك العرب لطرفة وجريز المتلمس بكتابين إلى عامله بالبحرين ياهلاكهما وهما لا يشعران فمرا برجل على قارعة الطريق يحدث ويتفلى ويأكل، فقال المتلمس بالله ما رأيت أحمد من هذا، فقال الرجل وما رأيت من حمقي، أخرج خبيثاً وأدخل طيباً، وأقتل عدواً، أحق والله مني من حمل حنفة بيده. فحك المتلمس كتابه فإذا فيه أما بعد فإذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه وادفنه حياً فرمى بالكتاب وأنشأ يقول:

قذفت بهذا القط من جب كافر ... كذلك أرمي كل قط مطلق

وقال لطرفة: فك كتابك، فقال: هو لا يجتريء على إهلاكي، فذهب بالكتاب فإذا فيه إذا أتاك طرفة فاقطع أكحله ولا تشده حتى يموت ففعل وأنشأ طرفة يقول:

كل خليل كنت خالنته ... لا ترك الله له واضحه

كلهم أروغ من ثعلب ... ما أشبه الليلة بالبارحة

فصل

من تحامق لينال غنى

سمعت أبا نصر محمد بن مزاحم البدخشي، قدم علينا حاجاً، قال: سمعت سعيد بن علي بن عطف الطاحي بالبصرة يقول: كان عندنا رجل عاقل أديب فهم شاعر يقال له عامر وكان مع أدبه محروماً مجازفاً، فقال لي رجل من أصحابي إن صديقك عامراً قد جن، فجعلت أطلبه حتى ظفرت به في بعض القرى والصبيان حوله يضحكون، فقلت له: يا عامر مذ كم صرت بهذه الحال؟ فأنشأ يقول:

جننت نفسي لكي أنال غنى ... فالعقل في ذا الزمان حرمان

يا عاذلي لا تلم أخا حمق ... تضحك منه فالحمق ألوان

وعلى هذا علي بن صلوة القصرى كان ممن يجيد الشعر وكان محروماً لا يؤبه له، ومن جيد شعره:

لسان الهوى في مقلتي لك ناطق ... يخبر عني أنني لك وامق

ولي شاهد من ضر جسمي معدل ... وقلب عليل في ودادك خافق

وما كنت أدري قبل حبك ما الهوى ... ولكن قضاء الله في الخلق سابق

ثم تحامق وأخذ في الهزل فحسنت حاله وراج أمره حتى أن الملوك والأشراف أولعوا به، ومن قوله:

غياث بن عبد الله يطعم ضيفه ... رؤوس الجدايا طبخها بأرياجها
وهذا مجال في الطعام لأنما ... رؤوس الجدايا حقها سكباجها
وما أشبه ذلك: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن الجنيد يقول سمعت محمد بن زكريا الغلابي يقول: مر
بعض الأدباء بمجنون يتكلم، فتأمل كلامه، فإذا هو رصين يدور على الأصول، فقال له ما حملك على
التحامق؟ فقال:

لما رأيت الحظ حظ الجاهل ... ولم أر المغبون مثل العاقل
دخلت عيشاً من كرام نائل ... فصرت من عقلي على مراحل
أنشدنا أبو نصر محمد بن أحمد التميمي بسرخس:
إن كنت تهوى أن تنال المالا ... فالبس من الحمق غداً سربالاً

فصل

من تحامق ليرخي وقتاً ويطيب عيشاً
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن صالح الأندلسي المعافري قال: أخبرنا بكر بن حماد السهري قال حدثنا صالح بن
علي النصيبيني قال: قلت لزيد ابن سعيد العيدي: مالي أراك نكرت حالك وزيك؟ قال: جدت فشقيت ثم
تحامقت فأرحت واسترحت.

أخبرنا أبو الحسن المظفر بن محمد بن غالب الهمداني برباط قراوة قال أنشدنا محمد بن إبراهيم بن عرفة
الأسدي نفظويه قال أنشدنا العباس ابن محمد الرودي الشافعي:

وانزلي طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرءاً لا أشاكله
فحامقته حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت اعاقله
أنشدنا أبو جعفر محمد بن علي بن الطيان القمي هذا الشعر
تحامق تطب عيشاً ولاتك عاقلاً ... فعقل الفتى في ذا الزمان عدوه
فكم قد رأينا ذا فهي صار خاملاً ... وذا حمق في الحمق منه سموه
ولأبي الربيع محمد بن علي الصفار البلخي.

طاب عيش الرقيع في ذا الزمان ... والجهول الغفول والصفعان
فاغتنم حمقك الذي أنت فيه ... تحظ بالمكرمات والاحسان
وأنشدني أبو منصور مهلهل بن علي الغنوي:

الروح والراحة في الحمق ... وفي زوال العقل والخرق
فمن أراد العيش في راحة ... فليلزم الجهل مع الحمق
ورأيت في بعض الكتب:

إذا كان الزمان زمان حمق ... فإن العقل حرمان وشوم
فكن حمقاً مع الحمق فأني ... أرى الدنيا بدولتهم تدوم

فصل

من تحامق لينجو من بلاء وآفة

حدثنا أبو أحمد بن قريش بن سليمان سنة ثمان وثلاثين بمرور الروذ قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن عباس
الديري قال حدثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي طاوس عن أبيه قال: لما وقعت الفتنة زمن عثمان
رضي الله عنه قال رجل لأهله أوتقوني فأني مجنون كيلاً أوديكهم، فأوتقوه، فلما قتل عثمان رضي الله عنه
قال خلوا عني فقد صحوت والحمد لله الذي عافاني من قتل عثمان.

سمعت الحسن بن عمران الحظلي، بمرارة، يقول حدثنا أبو عبد الله محمد بن حفص الفارسي حدثنا منصور بن
سعيد الرازي. حدثنا قاسم ابن محمد بن عريب من ولد أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: ادخل
عبادة المخنث على الواثق والناس يضربون ويقتلون في الامتحان قال فقلت والله لئن امتحنني قتلني فبدأته
فقلت اعظم الله أجرك أيها الخليفة فقال فيمن؟ فقلت: في القرآن قال ويحك والقرآن يموت؟ قلت نعم
كل مخلوق يموت فإذا مات القرآن في شعبان فبايش يصلي الناس في رمضان؟ فقال: أخرجوه فإنه مجنون..
أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمود بن عبد الله قراءة عليه قال: حدثنا عبد الله بن محمود البغدادي قال حدثنا
محمد بن يحيى البصري قال: دعا المنصور أبا حنيفة والثوري ومسعراً وشريكا ليوليهم القضاء، فقال أبو
حنيفة: أنا أتحامق فيكم فأقال وأتخلص، وأما مسعر فيتجان ويتخلص، وأما سفيان فيهرب، وأما شريك
فيقع، فلما دخلوا عليه قال أبو حنيفة رحمه الله أنا رجل مولى ولست من العرب ولا تكاد العرب ترضى بأن
يكون عليهم مولى ومع ذلك فأني لا أصلح لهذا الأمر، فإن كنت صادقاً في قولي فلا أصلح له، وإن كنت
كاذباً فلا يجوز لك أن تولي كاذباً دماء المسلمين وفروضهم. وأما سفيان فأدركه المشخص في طريق فذهب
لحاجته فانصرف المشخص ينتظر فراغه فبصر سفيان سفينة فقال للملاح إن مكتني من سفينتك وإلا ذبحت
بغير سكين. تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين فأخفاه الملاح تحت
السارية. وأما مسعر بن كدام فدخل على المنصور فقال له: هات يدك، كيف أنت وأولادك ودوابك؟
فقال: أخرجوه فإنه مجنون. وأما شريك فقال المنصور تقلد فقال أنا رجل خفيف الدماغ، فقال تقلد وعليك
بالمعصية والنيبذ الشديد حتى يرجح عقلك، فتقلد، فهجره الثوري، وقال أمكنك الهرب فلم تهرب.

حدثنا أبو زكريا يحيى بن محمد بن يحيى، واللفظ له، قال حدثنا محمد ابن المسيب بن إسحاق الأرميني قال
حدثنا يونس بن عبد الأعلى الصديقي قال: كتب الخليفة إلى عبد الله بن وهب في قضاء مصر، فتجنن نفسه
ولزم بيته، فاطلع عليه راشد بن سعد وهو يتوضأ في صحن داره، فقال أبا محمد ألا تخرج إلى الناس فتقضي
بينهم بكتاب الله وسنة رسول الله فقد جنت نفسك ولزمت بيتك. فرفع إليه رأسه وقال: إلى ههنا انتهى
عقلك؟ أما علمت إن العلماء يحشرون مع الأنبياء وإن القضاة يحشرون مع السلاطين؟.

حدثنا أبو القاسم منصور بن العباس الفقيه ببوشنج قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن السلمي قال: دعا الخليفة أيام المحنة محمد بن مقاتل الرازي وأبا الصلت عبد السلام بن صالح الفهنتري فقال ل محمد بن مقاتل: ما تقول في القرآن؟ قال أقول: التوراة والانجيل والربور والفرقان فإن هذه الأربعة مخلوقة وأشار إلى أصابعه الأربع، فنجا، فقال لأبي الصلت ما تقول؟ قال تعز يا أمير المؤمنين قال عمن ويملك؟ قال عن " قل هو الله أحد " فإنه مات. قال فكيف؟ قال إن كان مخلوقاً فإنه يموت! فقال مجنون اخرجوه، فاخرج فنجا.

أخبرنا يوسف بن أحمد بن محمد بن قيس السنجري قال أخبرني عبد الله بن محمد الدينوري قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم البستي عن أبيه قال سمعت يحيى بن معين يقول: لما ادخلت على الخليفة قال لي ما تقول في القرآن؟ قلت مخلوق، عنيت به قرآن بنت تمام.

حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن أحمد بن علك الجوهري، بمرو، قال حدثنا يحيى بن ساسويه بن عبد الكريم قال حدثنا علي بن حجر قال: أخبرنا شعيب بن صفوان عن أبي معشران رجلاً آلى بيمين أن لا يتزوج حتى يستشير مئة نفس، لما قاسى من بلاء النساء، فاستشار تسعة وتسعين نفساً وبقي واحد، فخرج علي أن يسأل اول من نظر إليه فرأى مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم وسود وجهه وركب قصبه فسلم عليه وقال: مسألة، فقال سل ما يعينك وإياك وما لا يعينك، فقلت مجنون والله ثم قلت: إني أصبت من النساء بلاء وآليت أن لا أتزوج حتى استشير مئة نفس وأنت تمام المئة، فقال: اعلم أن النساء ثلاث، واحدة لك وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التي لك فشابة طرية لم تمس الرجال فهي لك لا عليك إن رأته خيراً حمدت وإن رأته شراً قالت كل الرجال على مثل هذا، وأما التي عليك فأمرأة ذات ولد من غيرك فهي تسليخ الزوج وتجمع لولدها، وأما التي لا لك ولا عليك فأمرأة قد تزوجت قبلك فإن رأته خيراً قالت هكذا يجب وإن رأته شراً حنت إلى زوجها الأول. فقلت نشدتك الله ما الذي غير من أمرك ما أرى؟ قال ألم اشترط عليك أن لا تسأل عما لا يعينك، فأقسمت عليه، فقال إني رشحت للقضاء فاخترت ما ترى على القضاء.

وأخبرنا أبو موسى بن الحصين قراءة عليه قال حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني، حدثنا أبو علي سهل بن علي ببغداد في الدار قال حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن أخي الأصمعي قال: سمعت عمي يقول: أخبرت إن الحجاج بن يوسف لما فرغ من أمر عبد الله بن الزبير قدم إلى المدينة فلقني شخصاً خارجاً من أهل المدينة، فلما رآه الحجاج قال له: يا شيخ من أهل المدينة أنت؟ قال نعم قال الحجاج من أيهم؟ قال من بني فزارة، قال كيف حال أهل المدينة؟ قال شر حال! قال ومم؟ قال لما لحقهم من البلاء بقتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال الحجاج ومن قتله؟ قال قتله الفاجر اللعين حجاج بن يوسف عليه لعين الله وصلبه من قلة المراقبة لله، فقال الحجاج، وقد استشاط غضباً: وإنك يا شيخ ممن أحرزته ذلك واسخطه؟ قال الشيخ أي والله اسخطني ذلك سخط الله على الحجاج وأخزاه! قال الحجاج: أو تعرف الحجاج إن رأيت؟ فقال أي والله إني به لعارف فلا عرفه الله خيراً ولا وقاه ضيراً، فكشف الحجاج عن لثامه وقال لتعلم أنك أيها الشيخ يسيل دمك الساعة، فلما أيقن بالهلاك تحامق وقال هذا والله العجب أما والله يا

حجاج لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا العباس بن أبي ثور المصروع اصرع في كل شهر خمس مرات وهذا أول جنوبي، فقال الحجاج انطلق فلا شفاك الله ولا عافاك !.

فصل

ضروب الجذ والعقل ودولة الحمق والجهل

سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازي يقول سمعت العباس بن حمزة يقول سمعت أحمد بن حنبل يقول سمعت هشام بن عبد الله الرازي يقول سمعت أبا يوسف القاضي يقول ثلاثة: مجنون، ونصف مجنون وعاقل، فأما المجنون فأنت منه في راحة، وأما نصف المجنون فأنت منه في تعب، وأما العاقل فقد كفيته مؤنته. أنشد أبو ذر القراطيسي:

الحمد لله كم في الدهر من عجب ... ومن تغير أحوال وحالات
لا تنظرن إلى عقل ولا أدب ... إن الحدود قريبات الحماقات
واسترزق الله مما في خزائنه ... فكل ما هو آت مرة آت

قال عبيد الله بن سعيد الكاتب: دخل بعض الشعراء على ابن شوذب وهو الذي يضرب به المثل في كثرة الأموال، فأتى برعيل من الخيل فتأملها وقال أخرجوا منها ذلك المرعزي، ثم أتى بقطيع من الغنم لا تنجوا ذلك الأدهم. وكان الشاعر قد مدحه بقصيدة فلما رأى ذلك خرج من عنده ولم ينشده، وأنشأ يقول.

لا يعرف الضأن من المعزى ... ويحسب الأدهم مرعزى
صفت له الدنيا وضافت لنا ... تلك لعمرى قسمة ضترى
أنشد أبو الفضل العباس بن القاسم الطبري:

قل لدهر على المكارم غطى ... يا قبيح الفعال جهم الحيا
كم رفيع حططته عن يفاع ... ورقيع الحقته بالثريا
وأنشد أبو بكر أحمد بن عمران السوادي:

زمان قد تفرغ للفضول ... يسود كل ذي حمق جهول
فإن أحببتهم فيه ارتفاعاً ... فكونوا جاهلين بلا عقول
وقال ابن الرومي:

دهر علا قدر الرقيع به ... وترى الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه ... سفلاً ويعلو فوقه جيفه
وقال علي بن محمد بن قادم:

عدلوني على حماقة جهلاً ... وهي من عقلهم ألد وأحلى
لو لقوا ما لقيت من حرفة العلم ... لساروا إلى الجهالة رسلا

ولقد قلت حين اغروا بلومي ... أيها اللاتمون في الحمق مهلاً
حمقي قائم بقوت عيالي ... ويموتون إن تعالقت هزلاً
وسمعت أبا الحسن محمد بن محمد بن الحسن الكازري يقول سمعت إبراهيم بن محمد بن يزيد عن عبد الله بن
الأكبر متردداً يقول: كان على سيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:
للناس حرص على الدنيا بتبذير ... وصفوها لك مزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل عندما قسمت ... لكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب ليب لا يساعده ... وماثق نال دنياه بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مغالبة ... طار البزاة بأرزاق العصافير
ورأيت في كتاب لابن ممشاد.
قد كسد العقل وأصحابه ... وفتحت للحمق أبوابه
فاستعمل الحمق تكن ذا غنى ... فقد مضى العقل وطلابه
وللامام الشافعي رحمه الله:
إن امرأ رزق اليسار ولم يصب ... حمداً ولا اجراً لغير موفق
فالجد يدين كل شيء شاسع ... والجد يفتح كل باب مغلق
فإذا سمعت بأن مجدوداً حوى ... عوداً فأثمر في يديه فحقق
وإذا سمعت بأن محروماً رأى ... ماء ليشربه فغاض فصدق
وأشد خلق الله بالهمّ امرؤ ... ذو همّة يبلى بعيش ضيق
ومن الدليل على القضاء وكونه ... بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق
ولابن الرومي:
جاهي أدق من الصراط ... فيكم وعزي في الخطاط
وتكايسى وتحاذقي ... يلجان في سم الخياط
وأنا الشقي بأرضكم ... مثل المصور في البساط
ولعي بن محمد السيرافي:
ما هممتي إلا مقارعة العدى ... خلق الزمان وهمتي لم تخلق
والمرء كالمدفون تحت لسانه ... ولسانه مفتاح باب مغلق
إني أرى الأكياس قد تركوا سدى ... وأزمة الأملاك طوع الأحمق
لو كان بالخيال الغنى لوجدتني ... بنجوم أقطار السماء تعلقني
لكن من رزق الحجي حرم الغنى ... ضدان مفترقان أي تفرق
وقال بعضهم:
كم من أديب عاقل قلبه ... مكمل العقل مقل عديم
ومن رقيق وافر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

سبحان ربي إن ربي حكيم ... قد حرم العاقل فضل النعيم
ما يظلم الرب ولكنه ... أراد أن يظهر عجز الحكيم
وبلغني أن امرأة أتت بزوجه الحكيم فقالت له أيها الحكيم ما بال الأمر يلتام للعاجز ويلتان على الحازم ؟
قال ليعلم العاجزان عجزه لن يضره وليعلم الحازم إن حزمه لن ينفعه وإن الأمر إلى غيرهما.

قال أكتنم بن صيفي حكيم العرب لبنيه: إياكم وصحبة الأحمق فإنه إلى أن يضركم أقرب منه إلى أن ينفعكم.
قال الأحنف بن قيس لبعض أصدقائه: اجتنب صحبة النوكي فانهم لا يستقرون على حال وإياك والعتاب
فإنه يفتح باب التغالي، والعتاب خير من الحقد.

قال بشر بن عمرو اتق الأحمق فليس للأحمق خير من هجرانه.
قال أبو الحسن علي بن إبراهيم:
اتق الأحمق إن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق
كلما رقت منه جانباً ... صفقته الريح وهنا فانحرق
أو كعير السوء إن أقصدته ... رمح الناس وإن جاع نطق
قال آدم بن عيينة قلب حجر بأرض الروم فإذا عليه مكتوب:
ولا تصحب أخا الحمق ... وإياك وإياه
فكم من جاهل أردى ... حكيماً حين وإخاه
يقاس المرء بالمرء ... إذا ما هو ماشاه
وللقب على القلب ... دليل حين يلقاه
وللناس من الناس ... مقاييس وأشباه

سلمة بن بلال قال: كان فتى يعجب علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرآه يوماً يمشي رجلاً متهماً فقال
رضي الله عنه وذكر الأبيات.
وكان بشر بن الحارث يقول: النظر إلى الأحمق سخنة عين والنظر إلى البخيل يقسي القلب.

أويس القرني

ومن عقلاء المجانين قدس الله سره، وهو أول من نسب إلى الجنون في الإسلام والمعروف من حديثه ما
وجدته في كتاب جدي سعيد بن المسيب رحمه الله ورضي عنه قال: نادى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وهو على المنبر بمضى: يا أهل قرن، فقام مشايخ فقالوا ها نحن يا أمير المؤمنين فقال رضي الله
عنه أي قرن من اسمه أويس؟ فقال شيخ: يا أمير المؤمنين ليس فينا من اسمه أويس إلا مجنون يسكن القفار
والرمال لا يَأْلَف ولا يُولَف قال رضي الله عنه ذلك الذي أعنيه إذا عدتم إلى قرن فاطلبوه وبلغوه سلامي
وقولوا له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرني بك وأمرني أن أقرأ عليك سلامه. قال فعادوا إلى قرن
فطلبوه فوجدوه في الرمال فابلغوه سلام عمر رضي عنه وسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عرفني

أمير المؤمنين وشهر باسمي، السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وهام على وجهه فلم يوقف له بعد ذلك على أثر دهرأ، ثم عاد على أيام علي رضي الله عنه مقاتلاً بين يديه، وقتل مستشهداً في صفين امامه، فظفروا فإذا عليه نيف وأربعون جراحة وطعنة وضربة ورمية.

هرم بن حيان قال: قدمت الكوفة ولم يكن لي هم إلا أويس القرني أطلبه وأسأل عنه وحتى وجدته قاعداً على شاطئ الفرات يغسل يديه ورجليه عليه ازار من صوف ورداء من صوف، كربه الوجه، مهيب المنظر جداً، وكان لحيماً آدم اللون شديد الأدمة كث اللحية، فسلمت عليه فرد علي وقال حياك الله من رجل ومددت إليه يدي لا صافحه، فأبى أن يصافحني فقلت وأنت فحياك الله، كيف أنت يا أويس رحمك الله؟ ثم سبقتني العبرة من حيي وورقتي له إذ رأيت من حاله ما رأيت حتى بكيت وبكى وقال: وأنت فرحمك الله يا هرم بن حيان، كيف أنت يا أخي؟ ومن ذلك علي؟ فقلت: الله، فقال لا إله إلا الله سبحانه ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً، فتعجبت حين سماني وعرفني ولا والله ما رأيته قط ولا رأيي فقلت من أين عرفني وعرفت اسمي واسم أبي فولله ما رأيته قط قبل اليوم؟ فقال نبأني العليم الخبير عرفت روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك إن الأرواح لها أنفوس كأنفس الأحياء وإن المؤمنين ليعرف بعضهم بعضاً ويتحابون بروح الله وإن لم يلتقوا ويتعارفون ويتكلمون وإن نأت بهم الديار وتفرقت بهم المنازل، فقلت حدثني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث أحفظه عنك، فقال إني أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة ولكني صحبت رجلاً رأوه وبلغني كبعض ما بلغكم ولا أريد أن أفتح هذا الباب، واحتج، فقلت له اقرأ علي آيات من كتاب الله تعالى وأوصني وصية فأحفظها، فقام وأخذ بيدي وقال "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم" وشهق شهقة ثم بكى فقال: قال ربي، وأحق القول قول ربي وأصدق الحديث حديثه وأحسن الكلام كلامه: "وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لآعين" حتى بلغ إلى قوله تعالى "إنه هو العزيز الرحيم" ثم شهق شهقة ثم سكت، فنظرت إليه وأنا أحسبه قد غشى عليه، ثم قال: يا هرم بن حيان مات أبوك وبشرك أن تموت يا ابن حيان فأما إلى الجنة وأما إلى النار، مات أبواك آدم وحواء ومات نوح، ومات إبراهيم خليل الرحمن يا ابن حيان ومات موسى كليم الرحمن، يا ابن حيان ومات داود خليفة المسلمين، ومات أخي وصديقي وضيئي عمر بن الخطاب، ثم قال: واعمراه رحم الله عمر وعمر يومئذ حي قال هرم فقلت إن عمر لم يممت بعد قال قد نعاه إلي ربك إن كنت تفهم قد علمت ما قلت وأنا وأنت في القرى؟، وكان قد صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بدعوات خفيات ثم قال هذه وصيقي: عليك يا ابن حيان بكتاب الله وبقايا الصالحين من المسلمين نعت لك نفسي ونفسك فعليك بذكر الله وذكر الموت فلا يفارقان قلبك طرفة عين ما بقيت، وانصح لأهل ملتك جميعاً، وإيك وأن تفارق الجماعة فتفارق دينك وأنت لا تعلم فتدخل النار، ثم قال: إلهي إن هذا يزعم أنه يجني فيك وزارني من أجلك، واللهم عرفني وجهه في الجنة واحفظه في الدنيا حيث ما كان وارضه من الدنيا باليسير وما أعطيته من الدنيا فيسر له واجعله بما تعطيه من نعمتك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء، أستودعك الله يا هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا أراك بعد اليوم رحمك الله فإني أكره الشهرة

وأحب الوحدة ولا تطلبي واعلم انك مني على بال وإن لم أرك ولم ترني فاذكري وادع لي فإني سأذكرك وأدعو لك إن شاء الله تعالى. وفارقني يبكي وأبكي، فجعلت انظر في قفاه حتى دخل في بعض السكك فكم طلبته بعد ذلك وسألت عنه فما وجدت من يخبرني خبره.

الربيع بن خيثم قال: أتيت أويس القرني فوجدته جالساً قد صلى الفجر فقلت لا اشغله عن التسبيح، فمكث مكانه، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى الظهر، ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر، ثم هكذا حتى صلى المغرب، فقلت في نفسي لا بد من أن يرجع ليفطر، فثبت مكانه حتى صلى العشاء الأخيرة، فقلت لعله يفطر بعد العشاء، فثبت مكانه حتى صلى الفجر ثم جلس فغلبته عيناه فانتبه وقال: اللهم إني أعوذ بك من عين نائمة ومن بطن لا يشبع، فقلت حسبي ما عانيت ورجعت.

قتادة عن الحسن البصري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يدخل بشفاعة رجل من أمتي الجنة أكثر من ربيعة ومضر، أما اسمي لكم ذلك الرجل؟ قالوا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم: ذلك أويس القرني، ثم قال يا عمر إن أدر كته فاقره مني السلام وقل له حتى يدعو لك واعلم إنه كان به وضوح فدعا الله تعالى فرفع عنه ثم دعا الله فرد عليه بعضه. فلما كان في خلافة عمر رضي الله عنه وهو بالموسم قال ليجلس كل رجل منكم إلا من كان من قرن فجلسوا إلا رجلاً فدعاه وقال له تعرف فيكم رجلاً اسمه أويس فقال وما تريد منه فإنه رجل لا يعرف يأوي الخرابات ولا يخالط الناس، فقال اقربه مني السلام وقل له حتى يلقاني فأبلغه الرجل رسالة عمر رضي الله عنه فقدم عليه فقال له عمر: أنت أويس؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين، فقال: صد الله ورسوله، هل كان بك وضوح فدعوت الله فرفعه عنك ثم دعوته تعالى فرد عليك بعضه؟ فقال: نعم، من خبرك به فوالله ما اطلع عليه غير الله؟ فقال اخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأمري أن سألك حتى تدعو لي، وقال يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من ربيعة ومضر ثم سماك، قال فدعا لعمر ثم قال: حاجتي إليك يا أمير المؤمنين أن تكتبها علي وتأذن لي بالانصراف ففعل، فلم يزل مستخفياً من الناس حتى استشهد يوم نهاوند رحمه الله.

مجنون ليلي

هو من جملة من يذكر من الجانين أشهر، وحديثه أوضح وأيسر، وإنه بلغ من شهرته إن جنونه غلب على اسمه حتى إنه إن سمي أو عزى إلى أبيه لم يثبت بل يقال قال المجنون كذا وفعل مجنون بني عامر كذا حتى عابه كثير من الشعراء بالبوح ومدحوا أنفسهم بالكتمان.

قال أبو عبيدة: هو مهدي بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدي ابن ربيعة بن جعدة بن كعب. وقال يزيد بن عبد الأكبر: هو قيس بن معاذ بن شامة بن نصير.

سئل مجنون بني عامر: كيف كان سبب عشقك لليلي؟ قال: بينا أنا في عصفوان عزتي وريعان صباي أسحب ذيل اللعب وأرمي الكواعب من كئيب، أصبو إليهن فيفترقن، وأهزأ بهن فلا ينتصفن، إذا اعتقلني حباتل فتاة من عذرة فذهلني جيبها، وتيمني عشقها، وإذا جذبة جذبتني فمن أشعاره قوله:

ولم أر ليلي غير موقف ساعة ... بخيف مني ترمي جمار الخصب
وتبدي الحصى منها إذا قذفت به ... من البعد أطراف البنان المنخضب
وأصبحت من ليلي الغداة كناظر ... من الصبح في اعجاز نجم مغرب
إلا إنما غادرت يا بدر مالك ... صدا حيثما هبت به الريح يذهب
قيل لليلي: حبك للمجنون أكثر أم حبه لك؟ فقالت: بل حبي له. قيل فكيف؟ قالت لأن حبه لي كان
مشهوراً وحبي له كان مستوراً.

قال ابن الكلبي: إن المجنون في أول ما كلف بليلى قعد عندها يوماً يتحدث فرآها تعرض عنه وتقبل على
غيره فشق ذلك عليه وعرفت ذلك في نفسه فأقبلت عليه وقالت:
وكل مظهر للناس حياً ... وكل عند صاحبه مكين
فخر مغشياً عليه، ثم تمادى في الغلو حتى ذهب عقله.

قال محمد بن الكلبي: نزل المجنون برهط ليلي فجاء إلى امرأة كانت عارفة بأمرها، فشكى إليها ما يجده،
فوعده أن تجمع بينهما، فمضت وأخذتها وجمعت بينهما، فأنشأ يقول:
إذا قربت داراً كلفت وإن نأت ... أسفت فلا بالقرب أسلو ولا البعد
فإن وعدت زاد الهوى بانتظارها ... وإن بخلت بالوعد مت على الوعد
أقول: وتام الأبيات:

بكل تداوينا ولم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد
قال الأصمعي: حدثت إن رهط قيس المجنون قالوا لأبيه اطلب لنا طبيباً لعله يطلعنا على ما به، فأحضر
إليهم طبيباً، فعالجه فلما أعياه خلاه، فأنشأ قيس يقول:
ألا يا طبيب النفس أنت طبيبها ... فرققا بنفس قد جفاها حبيبها
دعني دواعي الحب ليلي ودونها ... ذوي قوة قلبي الحزين قلوبها؟
فديتك من داع دعا ولو انني ... حشاي من أحجار لظل يجيبها
ما هجرتك النفس من أجل انما ... قلتك ولكن قل منها نصيبها

قال الأصمعي: إن رهط قيس قالوا لأبيه: لو خرجت به إلى الحج فتدعو الله لعله ينساها، فخرج به فيينا هو
يرمي الجمار نادى مناد من بعض تلك الخيام: يا ليلي، فخر قيس مغشياً عليه، ثم أفاق وأنشأ يقول:
وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى ... فهيج أحزان الفؤاد وما يدري
دعا باسم ليلي غيرها فكأنما ... أطار بقلبي طائراً كان في صدري
إذا ذكرت يرتاح قلبي لذكرها ... كما انفض العصفور من بلل القطر
وهي قصيدة طويلة.

قيل: حبس المجنون مع ليلي في السجن فقبل له اخرج فقال لا أخرج لأن أكون مع الحبيب في السجن خير
من الفراق فأخرج فجاء الناس يعزونه فقال ارتجالاً:

ليل الحبيب مع الحبيب نهار ... وكذاك أيام الوصال قصار
وقال أيضاً:

وسجني مع الخبوب فردوس جنتي ... وناري مع الخبوب في النار أنوار
وذكر إن سعيد بن الحاص ؟ كان صديقه فعاتبه يوماً فقال له فضحت نفسك وعشيرتك فقال:
أريد لا نسي ذكرها فكأنما ... تمثل لي ليلي بكل سبيل
فلا تلحني يا سعيد فاني ... وحق إلهي هالك بقليل
قال كثير عزة: خرجت أريد قضاء حاجة لي فضلت الطريق فإذا أنا برجل قاعد فقلت إنسي أنت أم جني ؟
فقال بل إنسي، فقلت ما أقعدك ها هنا ؟ فقال إن هنا صياداً فأحبيت أن أنظر إلى صيده، فأنخت راحلتي
قريباً منه، فبينما نحن نتحدث إذ اضطرب الحبل فقام وقمت فإذا بطيبة كأحسن ما يكون من الأطباء واسمنهن،
فاستخرجها برفق، وجعل يقبل خديها وعينيها ثم أرسلها وهو يقول:

أذهبي في كلاءة الرحمن ... أنت مني في ذمة وأمان
فتهني فالجيد منك لليلي ... والحشا والبغام والعينان
لا تخافي بأن تسامي بسوء ... ما تغني الحمام في الأغصان
قال كثير: فأعجبي ما رأيت منه، فأقمت عنده، فلما كان من الغد غدا ونصب حبالته، فما لبث أن
اضطرب الحبل، فقام وقمت فإذا ظبي كنجو ما كان بالأمس، ففعل به كما فعل بالآخر، فمضى غير بعيد ثم
وقف ينظر إليه وأنشأ فقال:

ايا شبه ليلي لا تراعي فاني ... لك اليوم من وحشية لصديق
فعيانك عيناها وجيدك جيدها ... سوى أن عظم الساق منك دقيق
ثم لبثنا يومنا وليلتنا، فلما كان من الغد غدا وغدوت وصنع مثل صنيعه، فإذا نحن بطيبة قد وقعت في
الحباله، ففعل مثل ذلك فخلاها وأنشأ يقول:

تذكرني ليلي من الوحش ظبية ... لها مقلتناها والملد والحشا
فينهل دمع العين يجري لذكرها ... وأسفي عليك القلب بالدمع ما جرى
فقلت: لله أبوك، ما أعجب شأنك فالفتت إلي ثم قال:

أتلحي محباً هائماً أن رأى لمن ... أحب شبيهاً في الحباله موتقا
فلما دنا منه تذكر شجوه ... وأنس مما قد رآه تشوقا

وهيج منه حائل دون ذبحه ... فأرسله من أجل ليلي فاعتقا
ألا لا تلمه بل له اليوم حرقة ... من الوجد لا يزداد إلا تحرقا

فوالله إني لنفي ذلك إذ أقبل راكب فقال: اللهم إني أسألك خير ما عنده، فجاء حتى وقف فقال: اصبر يا
قيس، قال عمن قال ؟ عن ليلي، فقام إلى بعيره وقمت إلى بعيري فشددنا عليهما ثم أقبلنا إلى الحي فقال:
أرشدوني إلى قبرها، فأشاروا له إلى قبر حديث عهد بطين، فأكب يقبله ويلتزمه ويشم تراهه وأنشأ يقول:

أيا قبر ليلي لا شهدناك أعولت ... عليك نساء من فصيح ومن عجم

ويا قبر ليلى إن في الصدر غصة ... مكان الشجى سدت مع الريق بالسلم
ثم شهق شهقة فمات، فدنته أنا والراكب، وأنشأت أقول:
سابكيكما ما عشت حياً وإن أمت ... فأني قد لاقيت ما تجدان
قيل للمجنون: أتحب ليلى؟ قال لا، قيل ولم؟ قال لأن اخبة ذريعة للرؤية فقد سقطت الذريعة فليلى أنا
وأنا ليلى.

أنشدنا محمد بن المنذر للمجنون:

تذكرت ليلى والفؤاد عميد ... وشطت نواها والمزار بعيد
بيدي الهوى من صدر كل متيم ... وحي ليلى ما حيت جديد

قال الأصمعي: لم يكن المجنون مجنوناً ولكن كانت فيه لوتة كلوتة أبي حية النميري، وهو من أشعر الناس،
ومن جيد شعره:

أما والذي أبكى وأضحك والذي ... أمات وأحيا والذي أمره الأمر
لقد تركني أحسد الوحش أن أرى ... أليفين منها لا يروعهما الزجر
فيا حبها زدني جوى كل ليلة ... ويا سلوة الأيام موعدك الحشر
ويا هجر ليلى قد بلغت بي المدى ... وزدت على ما لم يكن صنع الهجر
عجبت لسعي الدهر بيني وبينها ... فلما انقضى ما بيننا سكن الدهر
وأنشد الجعد بن عقبة الجرمي لمجنون بن عامر:

دعوت إله الناس عشرين حجة ... نهاراً وليلاً في الجميع وخاليا
لكي تتلى ليلى بمثل بلبي ... فتعلم حالي أو ترق لما بيا
فلم يستجب لي الله فيها ولم يفق ... هوأي ولكن زيد حب برانيا
فيا رب حبيبي إليها أو اشفني ... بها أو أرح مما يقاسي فؤاديا
ومن شعره أنشد ابن الأعرابي:

يقولون عن ليلى غنيت وإنما ... بي اليأس عن ليلى وليس بي الصبر
فيا حبذا ليلى إذ الدهر صالح ... وسقيا ليلي بعد ما فسد الدهر
فأني لا هواها وإني لآيس ... هوى وإيس كيف صمهما الصدر
وله أيضاً:

امر مجانباً عن دار ليلى ... ألم بها وفي قلبي غليل
وقلبي عند ساكنها فهل لي ... إلى قلبي وساكنها سبيل
فلو أن الطلول أجبن صبا ... لرحمته أجابني الطلول
وله أيضاً:

وجاؤوا إليه بالتعاويد والرقى ... وصبوا عليه الماء من ألم النكس

وقالوا به من أعين الجن لحظة ... ولو عقلوا قالوا به أعين الأنس
وله أيضاً:

أيا شبه ليلى إن ليلى مريضة ... وأنت صحيح إن ذا لخال
أقول لظي مربي في مفازة ... لانت أخو ليلى فقال يقال
وإن لم تكن ليلى غزلاً بعينها ... فقد أشبهتها ظبية وغزال
ومن مشهور شعره:

ذكرتك والحجيج له ضجيج ... بيكة والقلوب لها وجيب
فقلت ونحن في بلد حرام ... به لله أخلصت القلوب
أتوب إليك يا رحمن إني ... أسأت وقد تضاعفت الذنوب
وأما من هوى ليلى وحي ... زيارتها فإني لا أتوب

سعدون

قال عطاء السلمي احتبس عنا القطر بالبصرة فخرجنا نستسقي فإذا بسعدون المجنون فلما أبصرني قال يا
عطاء إلى أين؟ قلت خرجنا نستسقي فقال بقلوب سماوية أم بقلوب خاوية؟ قلت بقلوب سماوية، فقال لا
تبهرج فإن الناقد بصير، قلت ما هو إلا ما حكيت لك فاستق لنا، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: أقسمت
عليك الا سقيتنا الغيث، ثم أنشأ يقول:

أيا من كلما نودي أجابا ... ومن بجلاله ينشي السحابا
ويا من كلم الصديق موسى ... كلاماً ثم ألهمه الصوابا
ويا من رد يوسف بعد ضر ... على من كان يتتجب انتحابا
ويا من خص أحمد باصطفاء ... وأعطاه الرسالة والكتابا
إسقنا. قال: فأرخت السماء شآبيب كأفواه القرب. فقلت زدني، قال ليس ذا الكيل من ذاك اليبدر، ثم
قال:

سبحان من لم تزل له حجج ... قامت على خلقه بمعرفته
قد علموا أنه مليكهم ... يعجز وصف الأنام عن صفته
قال عطاء: رأيت سعدون يفتلى ذات يوم في الشمس فانكشفت عورته فقلت له استرها أخا الجهل فقال:
أمالك مثلها؟ واستتر، ثم مربي يوماً وأنا آكل رماناً في السوق ففرك أذني وقال من الجاهل أنا أم أنت؟ ثم
قال:

أرى كل إنسان يرى عيب غيره ... ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ... ويبدو له العيب الذي لأخيه
وكيف أرى عيباً وعيبي ظاهر ... وما يعرف السوء آت غير سفيه

قال عبد الله بن سويدك رأيت سعدون المجنون ويده فحمة وهو يكتب بها على جدار قصر خراب:
يا خاطب الدنيا إلى نفسه ... إن لها في كل يوم خليل

ما أقيح الدنيا لخطابها ... تقتلهم عمداً قتيلاً قتيلاً
تستنكح البعل وقد وطئت ... في موضع آخر منه البديل
أنعم في عيشي وأيدي البلا ... تعمل في نفسي قليلاً قليلاً
ترودوا للموت زاداً فقد ... نادى مناديه الرحيل الرحيل

قال خالد بن منصور القشيري قدم علينا سعدون المجنون فسمعته ليلة من الليالي يقول في دعائه: لك
خشعت قلوب العارفين وإليك طمحت آمال الراجحين، ثم أنشأ يقول:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ... إن المحين للأحباب خدام
قال إسماعيل بن عطاء العطار: مررت بسعدون فلم أسلم عليه، فنظر إلي ثم قال:

يا ذا الذي ترك السلام تعمداً ... ليس السلام بضائر من سلما
إن السلام تحية مبرورة ... ليست تحمل قاتلاً أن يأثما

قال ثابت بن عبد الله أنشدني سعدون المجنون أبياتاً في الوصف:
تفهم يا أخي وصف الملاح ... وقد ركبوا النجائب في الوشاح

من الحور الحسان منعمات ... تفوق وجوهها ضوء الصباح
يراهن المهيمن من عير ... وشرفهن حقاً بالفلاح

وصدغ فوق سالفة بمسك ... كمشق النون في رق مباح
إذا خطرت تحير كل حسن ... وإن مرحت أهل للمراح

تقول إذا أتت نحو العذارى ... ألا يا خود هل حبي بصاح
فقد نغصن لذاتي جميعاً ... واعدمني هواها شرب راحي

قال الفتح بن سالم كان سعدون سياحاً لهجاً بالقول فرأيته يوماً بالفسطاط قائماً على حلقة ذي النون وهو
يقول يا ذا النون متى يكون القلب أميراً بعد أن كان أسيراً فقال ذو النون:

إذا اطلع الخبير على الضمير ... ولم ير في الضمير سوى الخبير
قال فصرخ سعدون وخر مغشياً عليه، ثم أفاق فقال:

ولا خير في شكوى إلى غير مشتكي ... ولا بد من شكوى إذا لم يكن صبر

ثم قال استغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال يا أبا الفيض إن من القلوب قلوباً تستغفر الله قبل أن
تذيب قال: نعم نبات قبل أن تطيع أولئك قوم أشرفت قلوبهم بضياء روح اليقين، ثم قال: أوحى الله تعالى

إلى نبي من الأنبياء كن لي بكليتك أكن لك وقل للمطيعين إن لم تطيعوني فلا تقربوا مني.

وكان ابن أبي أوفى يقول قعدنا في جزيرة من الجزائر نتشارب المز وفينا شيخ يغني ويقول:

أما النبيذ فلا يدعرك شارب به ... واحفظ ثيابك ممن شر به الماء

وإذا رجل يهتف: كذبت يا شيخ:

أما النبيذ فقد ينري بصاحبه ... ولا أرى شارباً ينري به الماء
فالتفتنا فإذا سعدون المجنون.

قال عطاء التيمي: كنت أبني فأشرفت من بعض الجدران فإذا سعدون يكتب بقطعة فحم على جدار:

ما حال من سكن الثرى ما حاله ... أمسى وقد رتّ هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة يصيبه ... أبداً ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن وجهه ... وتفرقت في قبره أوصاله
واستبدلت منه الخاسن غبرة ... وتقسمت من بعده أمواله
ما زالت الأيام تلعب بالفتى ... والمال يذهب صفوه وجلاله

قال ذو النون المصري رأيت سعدون في مقابر البصرة وهو يناجي ربه ويقول بصوت عال أحد أحد
فسلمت عليه فرد علي، فقلت بحق من تناجيه ألا وقتت، فوقفت، ثم قال: قل: قلت أوصني بوصية أحفظها
عنك أو تدعو بدعوة فأنشأ يقول:

يا طالب العلم من هنا وهنا ... ومعدن العلم بين جنبيكا

إن كنت تبغي الجنان تسكنها ... فاسبل الدمع فوق خديكا

وقم إذا قام كل مجتهد ... وادعه كي يقول لبيكا

ثم مضى وهو يقول: يا غياث المستغيثين، فقلت له ارفق بنفسك فلعله ينظر إليك برحمته فنزع يده من يدي،
وهو يقول:

سلام على طيب المقام سلام ... فليس لعين المستهام منام

ولو ترك الأغماض يوماً لجفنه ... لا يقظه مما يجن ضرام

ثم مضى وتركني.

قال رباح القيسي: سمعت مالك بن دينار، يقول: أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقي فإذا

أنا بسعدون في بعض الخرابات فقلت له بالذي خلقتك استسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال " يا فاطر
الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك
ولا تمهلك بلادك بذنوب عبادك " قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرايبيلها وجادت بوابلها فخرج
يخوض الماء وهو يقول:

قل لدنياي أبعدي وتولي ... ان تريني فإنني لا أراك

وصلي واملكي وداد سوائي ... انني مغرم بحب سواك

إن تكوني أسرت بالذنب قوما ... فاذهبي أنت لست من أسراك

قال محمد بن الصباح خرجنا بالبصرة نستسقي فلما أضحونا إذا بسعدون يفلي جبة صوف له، فلما رأنا

قام وقال إلى أين؟ قلنا نستسقي المطر، فقال بقلوب سماوية أم بقلوب خالية فقلنا بقلوب سماوية فقال

اجلسوا ها هنا فجلسنا حتى ارتفع النهار والسماء لا تزداد إلا صحوا فقال يا بطالين لو كانت قلوبكم سماوية لسقيتم ثم توضعاً وصلّى ركعتين ولحظ السماء بطرفه وتكلم بكلام لم نسمعه فما استتم كلامه حتى أاعدت وأبرقت وأمطرت مطراً جواداً فسألناه عن الكلام الذي تكلم به فقال إليكم عني إنما هي قلوب حنت فرنت فعانيت فعلمت فعملت وعلى ربها توكلت، وأنشأ يقول:

أعرض عن الفخر والتمادي ... وارحل إلى سيد جواد
ما العيش إلا جوار قوم ... قد شربوا صافي الوداد
قال: ورأيت مكتوباً على جيبته:

يا ذنوبي عليك طال بكائي ... صرت لي مأمناً فقل عزائي
في كتابي عجائب مثبتات ... ليتني ما لقيتها في بقائي
نظر العين قاذي للخطايا ... إذ أذنت للحوظ للأهواء
تالياً للقرآن يتلو المعاصي ... اسمه في السماء عبد مرائي

قال ذو النون المصري: خرجت بكرة إلى مقابر عبد الله بن مالك فإذا أنا بشخص مقنع كلما رأى قبراً منخسفاً وقف عليه فقصدته، فإذا هو سعدون، فقلت سعدون، فقال سعدون فقلت ما تصنع ها هنا؟ فقال إنما يسأل عما أصنع من أنكر ما أصنع وأما من عرف ما أصنع فما معنى سؤاله؟ فقلت يا سعدون تعال نبكي على هذه الأبدان قبل أن تبلى، فتأوه ثم قال البكاء على القدر على الله أولى بنا من البكاء على الأبدان، فإن يكن عندها شر أبلاها في القبور فسوف يبعثها ربها للعرض والنشور. يا ذا النون إنك إن تدخل النار فلا ينفعلك دخول غيرك الجنة وإن تدخل الجنة لا يضرك دخول غيرك النار، ثم قال يا ذا النون وإذا الصحف نشرت، ثم صاح واغوثاه ماذا يقابلني في الصحف قال: فغشي علي فلما أفقت إذا هو يمسخ وجهي بكمه ويقول يا ذا النون من أشرف منك إن مت مكانك هذا: قال محمد بن الصباح قرأت على قميمص سعدون:

عيني أبكي علي قبل انطلاقي ... بدموع منها تسيل المآقي

واندي مصرعي فقد مضى الشوق ... ونوحى علي قبل الفراق

قال مالك بن دينار دخلت جبانة البصرة فإذا أنا بسعدون فقلت له كيف حالك وكيف أنت فقال يا مالك كيف يكون حال من أمسى وأصبح يريد سفيراً بعيداً بلا أهبة ولا زاد ويقدم على رب عدل، ثم بكى بكاء شديداً، قلت ما يبكيك، قال والله ما أبكي حرصاً على الدنيا ولا جزعاً من الموت لكني بكيت ليوم مضى من عمري لم يحسن فيه عملي، أبكاني والله قلة الزاد وبعد المفازة والعقبة الكؤود ولا أدري بعد ذلك أصير إلى الجنة أو إلى النار، فسمعت منه كلام حكيماً، فقلت له إن الناس يزعمون أنك مجنون. فقال وأنت قد اغتررت بما اغتر به بنو الدنيا زعم الناس أنني مجنون وما بي جنة ولكن حب مولاي قد خالط قلبي وأحشائي وجرى بين لحمي ودمي وعظمي فأنا والله من حبه هائم مشغوف، قلت فلم لا تجالس الناس وتخالطهم؟

فأنشد الأبيات المشهورة:

خذ عن الناس جانباً ... كي يظنوك راهباً

وأُنشد أيضاً:

ولو لم يكن شيئاً سوى الموت والبلى ... وتفريق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقاً يا ابن آدم بالبكا ... على نائبات الدهر مع كل مسعد

قال عبد الله بن خالد الطوسي: لما خرج هارون الرشيد إلى مكة فرش له من جون العراق إلى مكة لبد
مرعزي وكان حلف على أن يحج راجلاً فاستند يوماً إلى ميل وقد تعب، فإذا سعدون قد عارضه وهو
يقول:

هب الدنيا تواتيكا ... أليس الموت ياتيكا

فما تصنع بالدنيا ... وظل الميل يكفيكا

ألا يا طالب الدنيا ... دع الدنيا لشانيكا

فما أضحكك الدهر ... كذاك الدهر يبيكيكا

فشهق الرشيد شهقة فخر مغشياً عليه ثم أفاق بعد أن فاته ثلاث صلوات.

قال ذو النون بينا أنا في أزفة مصر إذا أنا بسعدون المجنون وعليه جبة صوف جديدة مكتوب عليها خطوط
قد أدخل رأسه فيها، فسلمت عليه فرد السلام، فقلت: قف يا أبا سعيد حتى أنظر ما على جبتك، فوقف،
فقرأت على كفه الأيمن سطرين:

عصيت مولاك يا سعيد

ما هكذا تفعل العبيد

وعلى كفه الأيسر سطرين:

تباً لمن قوته رغيغ ... يأتي به السيد اللطيف

يعصي إلهاً له جلال ... وهو به راحم رؤوف

ومن خلفه سطران:

كل يوم يمر يأخذ بعضي ... يذهب الأطيبان منه ويمضي

نفس كفي عن المعاصي وتوبي ... ما المعاصي على العباد بفرض

ومن بين يديه سطران:

أيها الشامخ الذي لا يرام ... نحن من طيبة عليك السلام

إنما هذه الحياة متاع ... ومع الموت يستوي الاقدام

وعلى عكازه مكتوب:

اعمل وأنت من الدنيا على وجل ... واعلم بأنك بعد الموت مبعوث

واعلم بأنك ما قدمت من عمل ... محصى عليك وما خلفت موروث

قال: فقلت له أنت حكيم ولست بمجنون، قال أنا مجنون الجوارح ولست بمجنون القلب ثم ولى هارباً.

قال ذو النون: بينا أنا أطوف ذات ليلة حول البيت وقد هدأت العيون إذ أنا بشخص قد حاذاني وهو

يقول: رب عبدك المسكين الطريد الشريد من بين خلقك، أسألك من الأمور أقربها إليك وأسألك بأصفيائك الكرام من الأنبياء إلا سقيتني كأس محبتك وكشفت عن قلبي أغطية الجهل حتى أرقى بأجحة الشوق إليك فأناجيك في أركان الحق بين رياض بمائك، ثم بكى، ثم ضحك وانصرف، فتبعته حتى خرج من المسجد فأخذ خرابات مكة فالتفت إلي وقال: مالك ارجع أمالك شغل؟ قلت ما اسمك رحمك الله، قال عبد الله، قلت ابن من أنت؟ قال ابن عبد الله، قلت قد علمت أن الخلق كلهم عبيد الله وبنو عبيد الله فما اسمك؟ قال أسماي أبي سعدون، قلت المعروف بالحنون؟ قال نعم، قلت فمن القوم الذين سألت الله بهم؟ قال أولئك قوم ساروا إلى الله سير من قد نصب الحجة بين عينيه وتخوف تخوف من أخذت الزبانية بقلبه ثم التفت إلي فقال ذا النون! قلت نعم، قال يا ذا النون بلغني أنك تقول فقل لي شيئاً اسمع في أسباب المعرفة، فقلت أنت الذي يقتبس من علمك، فقال حق السائل الجواب ثم أنشأ يقول:

قلوب العارفين تحن حتى ... تحل بقربه في كل راح

صفت في ود مولها فما أن ... لها من وده أبداً براح؟

قال موسى بن يحيى كان سعدون إذا اشتد به الجوع يرمي بطرفه إلى السماء ويقول:

أتركني وقد آليت حلفاً ... بأنك لا تضيع من خلقتنا

وأنت ضامن للرزق حتى ... تؤدي ما ضمننت وما قسمتنا

وإني واثق بك يا إلهي ... ولكن القلوب كما علمتنا

قال عيسى بن علي رأيت سعدون ذات يوم، والصبيان يؤذونه، فطردت عنه الصبيان فقال بعض الصبيان

هو يزعم أنه يرى ربه، فقلت له أما تسمع ما يقول الصبيان، قال وما هو، قلت يقولون أنك ترى الله عز

وجل، فقال يا أخي مذ عرفت الله ما فقدته، ثم أنشأ يقول:

زعم الناس أنني مجنون ... كيف أسلو ولي فؤاد مصون

علق القلب بالبكا في الدياجي ... وهو بالله مغرم محزون

قال وقرأت على فروة له:

نغص الموت ريحه كل طيب ... ودهاني بفقد كل حبيب

ولكم أذ رأيت من حدث السن ... غريراً كغصن بان رطيب

حسن بالموت فاتنني بانكسار ... واضعاً خله بذل عجيب

قائلاً اخوتي سلام عليكم ... آذنت شمس مدتي بالمغيب

قال مالك بن دينار كنت حاجاً فغلبتني عيناى فرقدت عند الكعبة فوقف سعدون على رأسي، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد

وخذ من الليل وساعاته ... فازدد إذا ما سجد السجد

كتب سعدون المجنون إلى جعفر المتوكل: يا أخي، أما بعد، فإنك قد طمعت بالحياة ونسيت تراصف الأقدام

وتطايير الصحف في الشمائل والإيمان، فاذا ذكر حسراتك عند انكشاف الغطاء وقرأ فلا أنساب يومئذ بينهم

ولا يتساءلون.

عطية بن إسماعيل الموكل على زمام المأمون قال كتب سعدون إلى المأمون وقد بنى قصرًا:

يا من بنى القصر في الدنيا وشيده ... أسست قصرك حيث السيل والغرق

لو كنت تغني بذخر أنت ذاخره ... أسسته حيث لا سوس ولا حرق

والموت مصطبح منكم ومغتبق ... فاحتل لنفسك قبل الورد يا حمق

واذكر ثموداً وعباداً أين أنفسهم ... فلو بقي أحد من بعدهم لبقوا

ثم كتب عنوان الكتاب " لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد " .

عطاء بن سعيد قال كتب سعدون إلى والينا وكان قد آذانا: أما بعد. يا هذا فإنك إن لم تستح من نفسك

فاستحي من ربك لا يغرك بسطه عليك فإنه إن غاقصك أهلكك وهتكك ثم كتب عنوانه إن السمع

والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً.

عبد الله بن سهل قال كتب سعدون إلى بعض الخلفاء.

أما بعد فإن الله أخذ على السماوات والأرض والجبال عهداً فأودعه إياهن فأما السماوات فتناثر أنجمها

وانطمس شمسها واضمحل قمرها وتراصدت أقدام سكانها وارتعدت أكنافها، وأما الأرض فانزوى أطرافها

واكدودر ماؤها وتناثر أوراق شجرها وأغصانها وثمارها، وأما الجبال فتحلمد شوايحها وسالت أوديتها

ارتعاداً وانتقاضاً من شدة الأمانة التي كلفتها، وأنت في ضعف حياتك وبلادة خواترك وعجزك مذ كلفت

الأمانة فما تحرك عليك عضو ولا بذعر منك مفصل قد ركبت بجانب مخادعك وجعلت الدنيا نزهة بطالتك

فانتبه من رقدة الوسن قبل أن يكشفك الحزن والسلام.

قال عبد الصمد بن إسرائيل كتب سعدون إلى بعض إخوانه.

أما بعد يا أخي جعلنا الله وإياك من الذين غاصوا في بحار الشوق فاستخرجوا صدف اللطف فسقط عنهم

الأذى والأسف ثم كتب عنوانه من بعث راح ومن راح استراح.

قال نصر بن خالد كتب سعدون إلى بعض إخوانه.

أما بعد يا أخي جعل الله قلبك سماوياً معلقاً بجلال مودته حتى تنصب إليك ينابيع الدلائل فتسمو إليه

بموارث الطاعة ثم كتب عنوانه ميراث صفاء القلوب ودوام الشبع يميم القلوب.

ودبيعة الواسطي قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه: أما بعد فارحل قبل أن يرحل بك وتزود قبل المسير إلى

ربك فإنك تريد قطع مفاوز لا يقطعها البطالون، قطع الله عنك الطمع وجعلك ممن وصف في كتابه لا

يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين.

سعيد بن أبي عبيد الله الآجري قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه: أما بعد فقد بلغني أنك تركت الآخرة

وأقبلت على الدنيا، وإذا كان العبد من الله على كفاية ومال إلى الدنيا سلبه الله جل جلاله حلاوة الطاعة

عنه فيظل حيران فيقبل بعد ذلك عليه فيقول عبدي ارجع إلى ما كنت عليه.

إسماعيل بن عبد الله قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه: أما بعد من استعمل معول الفهم قوي على حفر

خنادق الكد ومن أتى جب المعرفة استسقى بدلو الجد ومن نظر في مرآة الفكر سقطت عنه لذة الكرى ثم

أنشأ:

ومن الناس من يعيش شقيماً ... جاهل القلب غافل اليقظه
فإذا كان ذا وفاء ورأي ... حفظ الوقت واتقى الحفظه
إنما الناس راحل ومقيم ... فالذي بان للمقيم عظه
عبد الله بن سهل قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه أما بعد يا أخي فانه من تعرض لعقوبة الله هوى وشقي
ومن تعرض لرضاء الله كفي ووقى فاجعل حظك من دنياك الاشتغال بطاعة مولاك والسلام.
قال وكتب بهذا الشعر إلى بعض إخوانه:
تحب الصالحين بزعم قلبك ... وتخلو إن فقدتهم بذبك
فمن حب الخليل تفر منه ... وهذا كله من كذب حبك
ستندم حين لا ندم بمجد ... وتعلم ما يجل غداً بجنبك
قال مالك بن دينار مات بعض قراء البصرة، فخرجنا في جنازته، فلما انصرفنا من دفنه صعد سعدون تلا
ونادى:

إلا يا عسكر الأحياء ... هذا عسكر الموتى
أجابوا الدعوة الصغرى ... وهم منتظروا الكبرى
يقولون لكم جدوا ... فهذا غاية الدنيا
سلمة بن عقيل قال كتب سعدون إلى بعض إخوانه: جعلنا الله وإياك من الذين ادبوا أنفسهم بدرة الجوع
وردموا خندق الأحران وجاوزوا عقاب الشدائد وقطعوا جسر الأهوال ثم كتب عنوانه ومن يتوكل على
الله فهو حسبه.
إبراهيم بن سعيد النجبي قال: كتب المتوكل إلى عامله بالبصرة إن قبلك رجلاً أديباً ظريفاً ذا حكمة فوجه
به إلي علي أحسن صفة غير مروع. فحمله إليه فلما ورد الباب قال له الحاجب سلم على الخليفة سلامك
على الخلفاء، فدخل، ثم سلم عليه وقال: أنت المتوكل؟ قال نعم، قال فلم سميت بالمتوكل ولم تسم
بالمواضع؟ ثم قال: للهوى كأني السلام عليك يا من استوى على سرّة الغنى وتقمص بقميص الخيانة متبعاً
مقاصير علائك فلم يوقد أتك فظ غليظ فجدبك عن سرير بهائك وأخرجك عن اللحد وفراق الأهل
والولد، فلو عليك حاجباً ولا قهرماناً حتى أخرجك إلى ضيق في صحيفة بطائنتك، يا من احتوى على أموال
الضعفة بظلمه، غداً تبكي سرائرك بين يدي من لا تخفى عليه السرائر فتحمل على دقيق المسئلة جواباً وعلى
الصراط جوازاً فستعلم وتستقرئ كل ما قد أحصى عليك بالتحقيق.
قال: فغاضه ذلك، فأمر بحبسه، فلما كان في اليوم الثاني أمر بإخراجه، فلما وقف بين يديه قال: بلغني أنك
قدري تقايس في العظمة وتداخل في التكوين، فقال: يا متوكل يا من له عقل موجود وفهم غير مفقود إن
مثلي لا يتكلم في القدر قال فنظر إليه مغضباً ورده إلى السجن.
فلما كان في اليوم الثالث أخرجه، فوقف بين يديه وقال: يا سعدون أنك ثوي تقول السماء خالية بلا

مدبر. فقال له: يا متوكل أسألك عن شيء تخبرني به؟ قال: نعم، قال: من جعل سطح الهامة منبت الشعر وسقاها من حرارة الدماغ؟ قال: الله، قال: أخبرني من مد حاجيك فأنت عليهما الشعر؟ قال: الله تعالى، قال: فأخبرني من فتق العينين وجعل للحدقة بياضاً وجعل وسطها سواداً؟ قال: الله، قال: فمن جعل فيهما ماء عذباً ولحاً؟ قال: الله، قال: فأخبرني من خرق السمعين فجعل فيهما سماعاً قال الله، قال: فمن ألزم القدم من الساقين فجعلهما اسطوانة للركبتين؟ قال الله، قال فمن شد الحقوين بالوركين؟ قال، الله قال: فمن عرفك أن تقول الله؟ قال الله، قال: فكيف أقول السماء بلا إله؟ قال المتوكل: بلغني أنك تقول القرآن مخلوق، قال يا متوكل ارض عن الله وثق بالله وكل شيء بقضاء الله ما يبلغ الفطنة كنه الله ولا يفوت الخلق رزق الله، الله لا يشبه خلق الله، القبض والبسط فعال الله، والجود والفخر أيادي الله، يا أيها القاتل بالله بالحق والصدق عرفت الله، فلا تكن مبتدعاً في الله، ارض بدين الله، عبد الله لا شيء أحلى من كلام الله، يكون مخلوقاً كلام الله يقولها؟ مبتدع والله!

قال: فأمر به إلى الحبس ثم اتخذ مقصورة وأمر بفرش الزرابي من الحرير الأخضر والخز والديباج ثم دعا به، فلما نظر إليه ضحك، ثم قال: يا متوكل هذا ملكك الديء الحقيير الفاني، فقال المتوكل بلغني أنك حروري تطعن في السلطان، فقال إني لست كذلك ولكني أصف لك مرجاً أحسن من مرجك وقصراً أحسن من قصرك، قال هات، قال في الجنة مرج من ورق الآس في وسط المرج قصر من درر وشقائق وفي وسط القصر قبة من ورق السوسن والقصر والقبة مبنيان على نبات القرنفل لها حدود أربعة الحد الأول ينتهي إلى ناحية الوجلين والحد الثاني ينتهي إلى نعيم المشتاقين والحد الثالث ينتهي إلى طريق المريدين والحد الرابع ينتهي إلى غرف مملوءة بتحف وصنائع ووصائف ورفارف وإلى خيام وخدام وإلى ميدان يطوف في ساحته الولدان، أرضها من الفضة ورمالها من اللؤلؤ وقضبانها من العنبر وشرفها من الياقوت الأحمر، العرش سقفاها والرحمة حشوها والأنبياء سكانها والملائكة عمارها والولدان خدامها، الزعفران حشيشها والقرنفل نباتها والسندس ثيابها، مطردة أثمارها دائمة ظلالتها دانية قطوفها مطهرة أزواجها خضر رياضها لذيد عيشها ذكي مسكها وكافورها، فهي دار العيش والنعيم المقيم، فساكن هذه الدار في نعيم لا يزول، لا غل في صدور سكانها، قد رفعت عنهم الأسقام وزالت الآلام وصاحب هذه الدار أبداً معاق الأبيكار في مرافقة الأخيار وجوار الملك الجبار.

ثم قام يخطر في مشيته ويقول:

قبة من جواهر الخ ... اد بالدر رصعت

جوف قصر من الزبير ... جد بالنور وشعت

مذ بناها الجليل في ... داره ما ترعزعت

لو عليها تساقطت ... أرضها ما تصدعت

حجبت كاعب من الخ ... ور فيها فابدعت

عجب الحسن والجما ... ل إذا ما تطلعت

منع الحب بالحبيب ... كما قد تمنعت

قال المتوكل أحسنت بارك الله فيك، من زعم أنك مجنون؟ ثم أمر له بجائزة، فردها وقال حيي الله الذي جعل خزائن عطائه مفتوحة لمؤمليه وحسي من جعل مفاتيحها حجة الطمع فيه.

بملول

قال محمد بن إسماعيل بن أبي فديك سمعت بملولاً في بعض المقابر وقد دلى رجله في قبر وهو يلعب في التراب فقلت له ما تصنع ها هنا؟ فقال أجالس أقواماً لا يؤذونني وإن غبت عنهم لا يغتابونني، فقلت قد غلا السعر فهلا تدعو الله فيكشف، فقال والله لا أبالي ولو حبة بدينار، إن الله تعالى أخذ علينا أن نعبده كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا، ثم صفق بيديه وأنشأ يقول:

يا من تمتع بالدنيا وزينتها ... ولا تنام عن اللذات عينه

شغلت نفسك فيما لست تدركه ... تقول لله ماذا حين تلقاه

علي بن ربيعة الكندي قال: خرج الرشيد إلى الحج فلما كان بظاهر الكوفة إذ بصر بملولاً المجنون على قصبة وخلفه الصبيان وهو يعدو فقال من هذا، قالوا بملول المجنون، قال كنت أشتهي أن أراه فأدعوه من غير ترويع، فقالوا له أجب أمير المؤمنين، فعدا على قصبته، فقال الرشيد السلام عليك يا بملول، فقال وعليك السلام يا أمير المؤمنين، قال كنت إليك بالأشواق، قال لكني لم أشتق إليك، قال عظمي يا بملول، قال وبم أعظك هذه قصورهم وهذه قبورهم، قال زدني فقد أحسنت، قال يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً ففعل في جماله وواسى في ماله كتب في ديوان الأبرار فظن الرشيد أنه يريد شيئاً فقال قد أمرنا لك أن تقضي دينك، فقال لا يا أمير المؤمنين لا يقضى الدين بدين أردد الحق على أهله واقض دين نفسك من نفسك، قال فإننا قد أمرنا أن يجري عليك، فقال يا أمير المؤمنين أترى الله يعطيك وينساني؟ ثم ولى هارباً.

وروي بإسناد آخر أنه قال للرشيد يا أمير المؤمنين فكيف لو أقامك الله بين يديه فسألك عن النقيب والفتيل والقطمير، قال فحنته العبرة فقال الحاجب حسيك يا بملول قد أوجعت أمير المؤمنين، فقال الرشيد دعه، فقال بملول إنما أفسده أنت وأضرابك، فقال الرشيد أريد أن أصلك بصلة فقال بملول ردها على من أخذت منه، فقال الرشيد فحاجة، قال ان لا تراني ولا أراك، ثم قال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة ابن عبد الله الكلابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرمي جمرة العقبة على ناقه له صهباء لا ضرب ولا طرد، ثم ولى بقصبته وأنشأ يقول:

فعدك قد ملأت الأرض طراً ... ودان لك العباد فكان ماذا

ألست تموت في قبر ويجوي ... تراثك بعد هذا ثم هذا

عبد الرحمن الأسلمي قال: قال أبي لبهلول أي شيء أولى بك؟ قال العمل الصالح.

بعض الكوفيين قال: حج الرشيد فذكر بملولاً حين دخل الكوفة فأمر بإحضاره وقال ألبسوه سواداً وضعوا على رأسه قلنسوة طويلة وأوقفوه في مكان كذا ففعلوا به ذلك وقالوا إذا جاء أمير المؤمنين فادع له، فلما

حاذاه الرشيد رفع رأسه إليه وقال يا أمير المؤمنين أسأل الله أن يرزقك ويوسع عليك من فضله، فضحك الرشيد وقال آمين، فلما جازه الرشيد دفعه صاحب الكوفة في قفاه وقال أهكذا تدعو لأمر المؤمنين يا مجنون، قال بملول اسكت ويلك يا مجنون فما في الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم، فبلغ ذلك الرشيد فضحك وقال والله ما كذب.

قال الحسن بن سهل بن منصور سمعت بملولاً وقد رماه الصبيان بالحصى وقد أدمته حصاة فقال:

حسبي الله توكلت عليه ... ونواصي الخلق طراً بيديه

ليس للهارب في مهربه ... أبداً من روحة إلا إليه

رب رام لي بأحجار الأذى ... لم أجد بداً من العطف عليه

فقلت له تعطف عليهم وهم يرمونك، قال اسكت لعل الله سبحانه وتعالى يطلع على غمي ووجعي وشدة فرح هؤلاء فيهب بعضنا لبعض.

ولبهلول:

حقيق بالتواضع من يموت ... وحسب المرء من دنياه قوت

فما للمرء يصبح ذا اهتمام ... وشغل لا تقوم له النعوت

صنيع مليكنا حسن جميل ... وما أرزاقنا مما يفوت

فيا هذا سترحل عن قريب ... إلى قوم كلامهم السكوت

قال عبد الرحمن الكوفي لقيني بملول المجنون فقال لي أسألك، قلت أسأل، قال أي شيء السخاء قلت البنل والعطاء، قال هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين؟ قلت المسارعة إلى طاعة الله، قال أفيريدون منه الجزاء؟ قلت نعم بالواحد عشرة، قال ليس هذا سخاء هذه متاجرة ومراجلة، قلت فما هو عندك؟ قال لا يطلع على قلبك وأنت تريد منه شيئاً بشيء.

قال عمر بن جابر الكوفي مر بملول بصبيان كبار فجعلوا يضربونه فدنوت منه فقلت لم لا تشكوهم لآبائهم؟ فقال لي اسكت فلعلني إذا مت يذكرون هذا الفرح فيقولون رحم الله ذلك المجنون! قال صباح الوزان الكوفي لقيت بملولاً يوماً فقال لي أنت الذي يزعم أهل الكوفة أنك تشتم أبا بكر وعمر؟ فقلت معاذ الله أن أكون من الجاهلين، قال إياك يا صباح فإنهما جبلا الإسلام وكهفاه ومصباحا الجنة وحبيا محمد صلى الله عليه وسلم وضجيعاه وشيخا المهاجرين وسيداهم ثم قال: جعلنا الله من الذين على الأرائك يسمعون كلام الله إذا وفد القوم إلى سيدهم.

علي بن الحسين قال: لما مات أبو بملول خلف ستمائة درهم، فأخذها القاضي وحجز عليها، فأتاه بملول فقال أصلح الله القاضي وترعم أي مصاب في عقلي فأنا جائع فادع لي بمائتي درهم حتى أقعد في أصحاب الحلقات أبيع وأشتري فإن رأيت مني رشداً ضمنت إليها الباقي وان تلفت فالذي اتلفت أقل مما بقي، فدعا القاضي بالكيس ووزن له مائتي درهم، فأخذها بملول ولزم الحيرة حتى أنفدها، ثم جاء إلى القاضي وهو في مجلس الحكم فقال يا بملول ما صنعت؟ فقال أعز الله القاضي أنفقتها فإن رأى القاضي ان يزن من ماله

مائتي درهم ويردها إلى الكيس حتى يرجع الكيس إلى ما كان، قال القاضي فبجحد لي ما أخذت؟ قال كلا ولكنني ما أقمت عندك شاهدين بأني موضع لها، قال صدقت، ودعا بمائتي درهم ورددها إلى الكيس.

قال عباس البناء نظر بملول إلي وأنا أبني داراً لبعض أبناء الدنيا، فقال لي لمن هذه الدار؟ فقلت لرجل من نبلاء الكوفة، فقال أرنيه فأرنيته إياه فناداه يا هذا لقد تعجلت الحماية قبل العناية اسمع إلى صفة دار كونها العزيز أساسها المسك وبلاطها العنبر اشتراها عميد قد ازعج للرحيل كتب على نفسه كتاباً وأشهد على ضمائه شهوداً، هذا ما اشتري العبد الجاني من الرب الوافي اشتري منه هذه الدار بالخروج من ذل الطمع إلى عز الورع فما أدرك المستحق فيما اشتراه من درك فعلى المولى خلاص ذلك وتضمينه أراه شهد على ذلك العقل وهو الأمين والخواطر وذلك في ادبار الدنيا وإقبال الآخرة أحد حدودها ينتهي إلى ميادين الصفا والحد الثاني ينتهي إلى ترك الجفا والحد الثالث ينتهي إلى لزوم الوفا والحد الرابع ينتهي إلى سكون الرضا في جوار من على العرش استوى، لها شارع ينتهي إلى دار السلام وخيام قد ملئت بالخدام وانتقال الاسقام وزوال الضر والآلام، يا لها من دار لا ينقضي نعيمها ولا يبئد، دار اسست من الدر والياقوت شرفك تلك الحدور وجعل بلاطها في البهاء والنور، قال فترك الرجل قصره وهام على وجهه، وأنشأ بملول يصيح خلفه ويقول:

يا ذا الذي طلب الجنان لنفسه ... لا تهرين يانه يعطيك

قال عبد الخالق سمعت أبي يقول سمعت بملولاً يقول من كانت الآخرة أكبر همهم أتنه الدنيا وهي راغمة، ثم أنشأ يقول:

يا خاطب الدنيا إلى نفسه ... تنح عن خطتها تسلم

ان التي تحطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم

قال كثير بن روح رأيت بملولاً ذات يوم يتمثل وهو يقول هذه الأبيات:

يا طالب الرزق في الآفاق مجتهداً ... اعتبت نفسك حتى شفقك الطلب

تسعى لرزق كفاك الله بغيته ... اقعد فرزقك قد يأتي به السبب

كم من دينء ضعيف العقل تعرفه ... له الولاية والأرزاق والذهب

ومن حسيب له عقل يزينه ... بادي الخصاصة لا يدري له سبب

فاسترزق الله مما في خزائنه ... فالله يرزق لا عقل ولا حسب

قال بعض أهل الكوفة ولد لبعض أمراء الكوفة ابنة فسأه ذلك فاحتجب وامتنع من الطعام والشراب فأتى

بملول حاجبه فقال إنذن لي على الأمير، هذا وقت دخولي عليه، فلما وقف بين يديه قال: أيها الأمير ما هذا

الحزن أجزعت لذات سوى هيأته رب العالمين أيسرك أن لك مكانها ابنا مثلي؟ قال: وبحك فرجت عني

فدعا بالطعام وأذن للناس.

قال عبد الواحد بن زيد مر بملول برجل قد وقف على جدار رجل يكلم امرأته، فأنشأ يقول:

كن حبيباً إذا خلوت بذنب ... دون ذي العرش من حكيم مجيد؟

أتهاونت بالإله بديا ... وتواريت عن عيون العبيد
أقرأت القرآن أم لست تدري ... أن ذا العرش دون حبل الوريد
ثم ولى وهو يقول من نوقش في الحساب غفر له، قتلته له من نوقش الحساب عذب، فقال اسكت يا بطل
إن الكريم إذا قدر غفر.

ولبهلول:

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لأهل الأرض من أهل السماء

قال الحسين الصقلي نظرت وقد زار سعدون بملولاً ورأيتهما فسمعت سعدون يقول لبهلول أوصني وإلا
أوصيك فناده بملول أوصني يا أخي فقال سعدون أوصيك بحفظ نفسك ومكنها من حيك فإن هذه الدنيا
ليست لك بدار، قال بملول أنا أوصيك يا أخي، فقال قل، فقال: اجعل جوارحك مطيتك واحمل عليها زاد
معرفتك واسلك بها طريق متلفك فإن ذكرتك تقل الحمل فذكرها عاقبة البلوغ. فلم يزالا يبكيان جميعاً
حتى خشيت عليهما الفناء.

قال علي السيرافي حمل الصبيان يوماً على بملول، فأنهزم منهم فدخل دار بعض القرشيين ورد الباب، فخرج
صاحب الدار فأحضر له طبقاً فيه طعام فجعل يأكل ويقول فضرب لهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة
وظاهره من قبله العذاب.

قال نعيم الخشاب كتب بملول إلى الواثق:

أما بعد فإن المراء قد لعب بدينك والأهواء قد أحاطت بك ومقالات أهل البدع قد سلخت عنك عقلك
وابن أبي داود المشنوم قد بدل عليك كلام ربك، اقرأ فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى، إلى قوله
فاعبديني أيكون هذا الكلام مخلوقاً، فرماك الله بمجارة من سجل مسومة عند ربك وما هو من الظالمين ببعيد
ثم كتب عنوانه من الخائف الدليل إلى المخالف لكلام ربه تعالى.

قال سالم بن عطية كتب بملول إلى ابن أبي داود: أما بعد فإنك قد ميزت كلام الله من الله وزعمت أنه
مخلوق فإن يك ما ذكرت باطلاً فرماك الله بقارعة من عنده، ويملك أكنت معه حين كلم موسى، فإن كنت
راداً عليه فاقراً: عليها غيرة ترهقها فترة أولئك هم الكفرة الفجرة ثم كتب عنوانه من الصادق المتواضع إلى
الكاذب المتجبر.

قال عبد الرحمن الهاشمي لما ولي الخلع علي شرطة بغداد وكان يرى برأي ابن أبي داود كتب إليه بملول: أما
بعد فإن السماء بأكنافها ونور كواكبها وضياء شمسها وقمرها وصفوف ملائكتها والعرش والملائكة المقربين
وافحجب المزدلفة بقدره خالقها والنار وزبانيتهما والجنة وسندسها والأرضين وجبالها والجبال وكهوفها
والحيتان في بحارها والوحش في قفارها والجن في أقطارها والطير في أوكارها والسباع في جوارها والأشجار
وشمارها يسبحون له في الغدو والآصال.

ولبهلول في الترياق:

اضمر من اضمر حي له ... فيشتكي اضمار اصمار
رق فلو مرّت به ذرة ... لخصبته بدم جاري
وله أيضاً في أرق منه:

اضمر أن يأخذ المرأة لكي ... ينظر تمثاله فأدناها
فجاء وهم الضمير منه إلى ... وجنته في الهوى فأدماها
وله أيضاً:

شبهته قمراً إذ مر مبتسماً ... فكاد يجرحه التشبيه أو كلما

ومر في خاطري تقبيل وجنته ... فسلبت فكري من عارضيه دما

قال محمد بن عبد الله بينا أنا في مسجد الكوفة يوم الجمعة والخطيب يخطب، إذ قام رجل به لم وجون
فقال: أيها الناس إن رسول الله إليكم جميعاً، فقام بهلول فقال " ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضي إليك
وحيه وقل ربّ زدني علماً " .

قال علي بن خالد بت ليلة على سور طرسوس فمر بهلول فلكنني برجله ثم أنشأ يقول:

يا طالب الحور ألا تستحي ... يحملك النوم على السور

وخاطب الحور طويل البكا ... مقيد الأعضاء محصور

لا يطعم الغمض وما إن له ... راحة جسم أو يرى الحور

في جنة زخرفها ذو العلى ... ينعم فيها كل محبور

قال فانتبهت فرعاً ولم أتم بعد ذلك في الحرس.

وسئل بهلول عن رجل مات وخلف ابناً وابنة وزوجة ولم يخلف من المال شيئاً كيف تكون القسمة، فقال
للإبنة الثلث وللزوجة خراب البيت وما بقي من المهم فللعصبية ! قال محمد بن خالد الواسطي أنشدني بهلول
يقول:

دع الحرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمع

ولا تجمع من المال ... فما تدري لمن تجمع

فإن الرزق مقسوم ... وسوء الظن لا ينفع

فقير كل ذي حرص ... غني كل من يقنع

عليان

قال عبد الملك بن أبجر لقيت عليان المجنون وكان اسمه عندي عليان فقلت له يا عليان فقال: لا إله إلا الله
قل خيراً يا ابن أبجر ولد لأبي مولود قبلي فسماه محمداً ببركات رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ولدت
فسماني علياً ببركات وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن صغري فقد صغر وصي رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومن طيبت به للتصغير بي فما طيبت بك يا ابن أبجر، فجعلت لا أسميه إلا علياً أو كنيته.
قال حفص بن غياث القاضي مررت في طاق السراجين فإذا عليان جالس، فلما جزته سمعته يقول من أراد

سرور الدنيا وحرز الآخرة فليتمن ما هذا فيه فوالله لقد تمتيت لو كنت مت قبل أن ألي القضاء.
قال الحسن الكوفي قال رجل لعليان أجننت؟ قال أما عن الغفلة فنعم وأما عن المعرفة فلا، قال كيف حالك مع المولى؟ قال ما جفوته مذ عرفته، قال ومد كم عرفته؟ قال مذ جعل اسمي في المجانين!

قال السري مولى ثوبان أدركت بالكوفة مجنوناً يقال له عليان وكان يأوي إلى دكان طحان وكانت معه عصي لا تفارقه، وكان الصبيان قد علموا وقت مسيره إلى الدكان فيجتمعون ويعبثون به، فإذا بلغت أذيتهم منه قال للطحان قد همى الوطيس وطاب اللقاء وأنا على بصيرة من أمري فما ترى؟ فيقول شأنك، فيثب وهو يقول:

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه ... وأعرض عن ذكر العواقب جانباً
ثم يشد مزره ويقول:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم ... دون النساء ولو باتت باظهار
ثم يتناول العصا ويشد عليهم ويقول:

أشد على الكنيبة لا أبالي ... أحنفي كان فيها أم سواها
والصبيان يهربون، فإذا أرهقهم طرح الصبيان أنفسهم وكشفوا عن عوراتهم، فيعرض عنهم بوجهه ويقول
عورة المؤمن حمى لولا ذلك لتلف عمرو بن العاص يوم صفين والأخذ بكلام علي رضي الله عنه أولى بنا
أمرنا أن لا نتبع مولياً ولا نذفف على جريح، ثم يرجع ويقول:
أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه ... خشاش كراس الحية المتوقد
ثم يعود إلى دكان الطحان ويلقي عصاه ويتمثل:

وأثقت عصاها واستقرت بها النوى ... كما قر عيناً بالإياب المسافر

قال علي بن ظبيان مررت يوماً بالكوفة فلما صرت في سكك همدان إذا أنا بعليان الجنون وفي يده قصبة فارسية مثل القناة وفي رأسها كبة قطن وعليها خرقة، وإذا هو يشد على الصبيان، فإذا أدركهم قالوا القصاص يا علي، ثم يلقي القصبة من يده، فلما رأيته تهيمت أن أمر بين يديه، فقال لي مر يا علي فلست منهم فمررت فلما حاذيته قلت من نوقش في الحساب عذب قال كلا يا علي ربنا أكرم من ذلك فإنه إذا قدر عفا، قلت له من العاقل؟ قال من حاسب نفسه وخاف ربه.

قال علي بن محمد الكناني كنت بمكة وعليان الجنون بها، وضربه الصبيان، وضربه بعض الفسقة بسكين فقطر منه الدم، فكنت أنظر إلى الدم يقطر على الأرض وبكيت له فبصرت ذلك في تسعة عشر موضعاً.
قال الإمام أبو يوسف القاضي رحمه الله كنت ماراً في طرقات الكوفة وإذا أنا بعليان الجنون فلما بصري سلم علي وقال لي أيها القاضي مسألة قلت هات، قال أليس قال الله تعالى في كتابه العزيز " وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ". قلت بلى قال أليس قال الله عز وجل: " وإن من أمة إلا خلا فيها نذير "، قلت بلى، قال فما نذير الكلاب، قلت لا أدري فأخبرني، قال لا والله لا أقول إلا بمن رفاق من شواء ونصف من فالودج، فأمرت من جاء بها، ودخلت معه مسجداً فأكلها حتى أتى على آخرها،

فقلت هات الجواب فأخرج من كفه حجراً وقال هذا نذير الكلاب ! وقال له بعض الناس يوماً يا مجنون، فقال مهلاً إنما المجنون من عرفه ثم عصاه.

قال عطاء السلمي مررت ذات يوم في بعض أزقة الكوفة فرأيت عليان المجنون واقفاً على طيب يضحك منه ومالي عهد كان بضحكه، فقلت له ما أضحكك ؟ قال هذا السقيم العليل الذي يداوي غيره وهو مسقام، قلت فهل تعرف له دواء ينجيهِ مما هو فيه ؟ قال شربة ان شربها رجوت برأه، فقلت صفها، قال خذ ورق الفقر وعرق الصبر واهليلج التواضع وبليلج المعرفة وغار يقون الفكرة، فدقها دقاً ناعماً بهاون الندم واجعله في طنجير النقى، وصب عليه ماء الحياة وأوقد تحتها حطب المحبة حتى ترمي الريد ثم أفرغها في جام الرضا وروحها بمروحة الحمد واجعلها في قده الفكرة وذقها بملعقة الاستغفار، فلن تعود إلى المعصية أبداً.

قال ذو النون المصري رأيت في منامي كأن قاتلاً قال لي إن في دير هرقل حكيماً من الحكماء أفلا تقصده ؟ فقلت شأنك، قال أفلا اكترى لك حماراً أو بغلاً قلت لا، قال امش معي فإن الله سبحانه يقويننا على ذلك، وكان بيننا وبين الدير عشرون فرسخاً، فمشيت معه نتحدث، فأصبحنا ونحن على باب الدير كأننا لم نمش إلا يسيراً، فدخلنا الدير فسلنا عنه فقالوا لا نعرف إلا معتوهاً أو مروراً أو مريضاً، قال ذو النون إنه وصف لنا ها هنا حكيماً، قال صاحب الدير أيكما أحق بالحبس وشرب الدواء من هؤلاء ؟ ما يصنع الحكيم في دير هرقل ؟ قلنا فاذن لنا في النظر إليهم، قال شأنكم، فما من محبوس إلا تعرضنا له فما سمعنا ما دل على غرابة عقولهم حتى بلغنا إلى أقصى مقصورة فيها، فرأينا رجلاً مغلولاً مقيداً قد شد بسلسلة إلى حجر كبير، قال ذو النون فتعرضت له فقال قل خيراً تغنم أو اسكت تسلم، فسلمت عليه، فرد، فقلت له ما اسمك قال اسمي علي وأعرف بعليان الكوفي، قلت له أنت عليان الكوفي ؟ قال نعم، قلت فمن حبسك ها هنا ؟ قال الحب ينطق والحياء يسكت والحرق يقلق، فتغير لوني وارتعدت فرائصي، فقلت يا علي ما طيب العيش قال إذا قذف بك في عين الأنس فكلك معه، قلت يا علي فما بلغ بك ما أرى ؟ قال كنت عاقلاً ظريفاً وكان المدير والسائس غيري وأنا منبوذ بين كفه وعطفه فإن شاء عفا وإن شاء عاقب وإن شاء أبلى وإن شاء عافى وهو الفعال لما يريد، وان الطبيعة النقية يكفيها من العظمة اللمحة ومن الحكم الإشارة إليها، قلت فإن أسترشدك، قال إن كان همك طلب الدلالة فإن ذلك أمر لا نهاية له وإن كان همك وجوده فهو موجود في أول خطرة ولو احتملت الزيادة لزدناك، قال ذو النون فكنت رأيت كثيراً من العباد، فما هبت أحداً قط منهم كهيبته. قال علي بن ظبيان: أتاني عليان ذات يوم وأنا في داري فقلت له: ما تشتهي ؟ قال: فالودج فأمرت أهل الدار فاتخذوا له فالودجاً وقدم إليه فأكله. ثم قال: يا علي ! هذا فالودج العام. فهل لك في فالودج العارفين ؟ قلت نعم. قال: خذ غسل الصفا، وسكر الوفا، وسمن الرضا، ونشا اليقين. ثم القها في طنجير النقى، ثم صب عليه ماء الخوف، وأوقد تحتها نار المحبة، ثم حركها باصطام العصمة، ثم اجعلها في جام الذكر، ثم روحها في مروحة الحمد حتى تبرد، ثم كلها بملعقة الاستغفار. فإنك إن فعلت ذلك ضمنت لك أن لا تعصي ربك أبداً.

قال زهير بن حرب: أمر الخليفة موسى الهادي باحضار بملول وعليان فأحضرا. فلما دخلا عليه قال لعليان:

ايش معنى عليان ؟ قال عليان: وايش معنى موسى اطبق ؟ فغضب الهادي وقال: خذوا برجل ابن الفاعلة. فالتفت عليان إلى بملول وقال خذها إليك. كنا اثنين فصرنا ثلاثة. قال أبو جعفر السباح: لقيت عليان يوم العيد على شدة شوقي إليه، وقصد مقبرة فلما توسطها رفع رأسه وقال: اللهم بك صام الصائمون؛ ولك قام القائمون، وقربوا قربانهم، ودخلوا منازلهم، وأنسوا بأهاليهم. وقد قربت قرباني. فليت شعري ! ما صنعت بقرباني ؟ اللهم ! إني أصبحت لا منزل لي، ولا عندي طعام. فاجعل قرباني منك بالمغفرة. فلما رأي أرمقه؛ وثب هارباً على وجهه. وقال أبو علي السيرافي: اشتقت إلى عليان لما كان بلغني عنه، ودخلت الكوفة في طلبه فقالوا: هو في المقبرة، فدخلت المقبرة فلما رأي هرب، فدخل مسجداً ورد الباب، فدخلت عليه فإذا هو في صلاة. فلما فرغ أقبل على مناجاته فقال: إليك توجه الطالبون وأرادوك، وإياك قصد الحبون واشتاقوك فأثروك. فدنوت منه وقلت: أحب أن تحييني. فقال: نعم فجئت إلى منزلي به وقلت ما تشتهي ؟ فقال: ما اشتهيت منذ أربعين سنة إلا المولى. قلت: الا اتخذ لك عصيدة جيدة ؟ قال هذا إليك. فاتخذت له عصيدة بالسكر ووضعت بين يديه. فقال: لا أريد مثل هذا ولكني أريد على الصفة التي أصفها لك، قلت صفها لي. قال: خذ تمر الطاعات، واخرج منه نوى العجب، وخذ دقيق العبودية، وزعفران الرضا، وسمن النية، واجعل ذلك في طنجير التواضع، وصب عليه ماء الصفا، وأوقد تحتها نار الشوق، بحطب التوفيق، وحركه باصطام الحمد، واجعله على طبق الشكر، وضعه بين يدي. فمن أكل منه ثلاث لقمات كان شفاءً لصدره، وشفاءً لذنوبه، ثم قام ونفض ذيله وأنشأ يقول:

أفلق الزاهدونا والعابدونا ... إذ لمولاهم أجاجوا البطونا

أقروحا الأعين الغزيرة شوقاً ... فمضى ليلهم وهم ساجدون
حيرتهم مخافة الله حتى ... زعم الناس إن فيهم جنونا

أبو الديك

قال عبد الله بن محمد الفقيه: أرسل إلي عمران بن إسحاق بن الصباح فأتيته، وإذا أبو الديك عنده، وكان حسن البديهة، جيد الجواب. فإذا هو يحلب ويشير إلى الحائط. كأنه تكلم شيئاً، وكان لا يعتريه إلا عند الجوع، فقال عمران: علي بالمائدة. ثم قال: هلم وقال: هذه التي قال الله تعالى في كتابه حكاية عن نبيه عليه السلام " ربنا أنزل علينا مائدة من السماء " قال لي: يا عبد الله ! هذه فطن العقلاء، وأذهان الحكماء. ثم أقبل على عمران وقال: أيها الأمير ! ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيمماً وأسيراً. فأنا مسكين يتيم أسير في حبس شيطان قد وكل بي، أعاذني الله منه. ثم أقبل على الطعام فإذا فتى ينشد شعراً:
إن الصنيعة لا تكون صنيعةً ... حتى يصاب بما طريق المصنع
فقال أبو الديك: كذب الشاعر لا يكون المعروف معروفاً حتى يصرف في أهله، وفي غير أهله، ولو كان لا يصرف إلا في أهله، كيف كان ينالني منه شيء. وأنا معتوه، وكنيتي أبو الديك.

عبد الرحمن الأشعث

قال سيف بن سوار قاضي واسط: كان عبد الرحمن بن الأشعث الكوفي جاراً لنا، وكان جميلاً وسيماً من أمثال أهل زمانه، وكان يقدم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكان أهله على غير ذلك ثم غلبت عليه المرة فأحرقته وطيرته وكان إذا خرج من بيته أولع به الصبيان يؤذونه ويقولون: يا ذموية فلا يجيبهم. وإذا قيل له يا عبد الرحمن قال لبيتكم أنا عبد الرحمن. فرأيت يوماً والصبيان يرمونه بالحجارة فقلت له ارميهم وكفهم عنك قال لا أفعل يعني من ذلك خصلتان خوف الله عز وجل وأن أكون مثلهم.

فمر بي ذات يوم وأنا جالس أقرأ كتاب الصلوات ل محمد بن الحسن وكان أخي إلى جبي وكان مكتوفاً أسن مني وكان أحد الصالحين فقلت يا عبد الرحمن لو جلست فسمعت. فقال وكيف يا ابن جابر إنما يصيد كل طائر قدره. ثم قال يا ابن جابر لن أعجبت بك عذرها ولا الذين حولك ليعجبني أخوك هذا يوم القيامة بمكانه من الله إن شاء الله تعالى. فبكى أخي حتى سقط على وجهه وهو واقف ينظر إليه. ثم قال يا ابن جابر لأني أنظر إلى استبشار الملائكة بكائك. فغشي على أخي فحمل. ثم قال يا سيف بن جابر اخزن لسانك، كما تخزن دراهمك. وإذا أعجبك الكلام فاصمت. قال: فقلت له اجلس وما أقول لك إلا لآنس بك. قال:

أقول يا ابن جابر ما قال نبيه أيوب عليه السلام رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فما بقي منا واحد إلا بكى ! فقال: ما يبكيكم؟ أليس يكفي لي خيراً مما أخذ مني حبه وحب أنبيائه وصالح عباده وتقديم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ثم ولي هارباً.

قال سيف بن جابر خرجت يوماً إلى الجبانة في جنازة فلما دفناها جعلت أدور في المقابر فإذا أنا بعبد الرحمن بن الأشعث جالس بين قبرين واضع خده على ركبتيه وهو يقول: شردتني في البلاد، وطيرتني في الجبانين، وأنستني في القبور. ثم قال: استغفر الله أما اني أعلم أنك مأمورة ولو عصيت الله سلط عليك من هو شر منك علي. قال فقلت يا عبد الرحمن من تكلم؟ قال هذه المسلمة علي. قلت ومن هي؟ قال المرة. قلت فلو دعوت الله سبحانه رجوت أن يذهبها عنك. قال يا ابن جابر! ربما دعوت الله وربما سمع. وهو الفعال لما يشاء فإما دعائي فاستغاثه بالله وإما إمساكي فتسليم لأمر الله ورضى بقضائه. قلت أفلا أجلس معك أو نسك؟ قال لي لا. قد جعل الله تعالى أنسي في الوحدة. كما جعل أنسك في حلق الفقه. ثم قال يا سيف ابن سوار! أليس يروى أن مورقاً العجلي قال أني لأسأل الله تعالى حاجة منذ عشرين سنة، ما أعطيتها، وما يئست منها. قلت بلى. قال لي وهو مغضب بارفع صوته يا سيف والله لو قطعني جذاماً وبرصاً لعلمت إن ذلك له وإنه الحكم العدل يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد.

فليت

قال محمد بن عبد الرحمن الكوفي كان لنا جار يقال له فليت وكان معتوهاً. وكانت له خالة وهي عجوز كبيرة قد أدركت عجائز الحي. فكنت أتحدث عندها وكان لها عقل ودين فكنت عندها ذات يوم، إذ دخل فليت فقلت له يا فليت: أيسرك أنك أمير المؤمنين؟ فقال لا فقلت ولم؟ قال يثقل ظهري، ويكبر همي،

وتسبني النعم ذكر ربي. قلت وفي الأرض عاقل لا يتمنى إنه خليفة ! قال وفي الأرض عاقل يتمنى أنه خليفة.

قال محمد بن ثابت لقيت فليتماً فقلت له ما تشتهي ؟ قال عصيدة فجنته بها وأدخلته بعض المساجد فأكل حتى أتى على آخرها فظننت إن به جوعاً فقلت أحتاج الزيادة ؟ فقال لا يا أخي هذا زادي إلى عشرة أيام. قال عمرو العسكري رأيت فليتماً يوماً والصبيان يرمونه بالحجارة وهو يقول فلمن صبر وغفران ذلك من عزم الأمور.

قال ومري يوماً فقال لي كم بقي من الشهر ؟ فقلت ثلاثة أيام. قال واويلاه ! انقضى الشهر ولم أتروء فيه لمعادي.

قديس البصري

قال رجل من الأنصار لقديس البصري وكان موسوساً ذاهب العقل: يا قديس الا تعدو من الصباح إلى الرواح أيوجعك جسدك إذا جاء الليل ؟ فقال: إذا الليل البسني ثوبه ... ثقلت فيؤنسي الموضع رأيت الصبر ستر الهوى ... إذا اشتملت قوة الأضلع وكيف يطيق فتى كتفه ... وأجفانه أبداً تدمع فقلت أسألك عما يشتكي جسدك، فتشديني الشعر. فقال: يا ابن الفاعلة ! قد أجبتك. فقلت: لا تسبني وأنا سيد من سادات الأنصار ؟ ثم قال.

وإن لقوم سودوك حاجة ... إلى سيد لا يظفرون بسيد قال صالح السري: قدم علينا محمد بن السماك العابد فقال: اروني عبادكم ؟ فذهبت به إلى قديس وقرأت إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون فشهب شهباً وخر مغشياً عليه فخرجنا من عنده وتركناه على هذا الحال.

أبو سعيد الضبيعي

قال سعيد بن عامر مري أبو سعيد الضبيعي ذات يوم فقلت له ألا تجلس عندي ساعة ؟ قال بلى متزبناً بمجالستك فجلس فقلت: يا أبا سعيد ما أفضل الكلام ؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. قلت وأي الأعمال أفضل ؟ قال إقام الصلاة. وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام، وبر الوالدين. قلت فأبي الرجال أحب إليك ؟ قال أحسنهم خلقاً. قلت فأبي النساء أحب إليك ؟ قال المتحبة النقية وإن كانت قبيحة.

قال بكار بن علي قلت لأبي سعيد يوماً كيف أصبحت ؟ قال أصبحت مؤمناً بالله لا أقول بقول القدرية ولا المرجئة ولا بقول الجهمية ولا الرافضة فأما القدرية فترعم أن العبد لو لقي الله بمثل حبة خردل من المعاصي

مصرأً عليها كان في نار جهنم مخلداً. وأما المرجئة فنقول من لقي الله بشهادة لا إله إلا الله فهو في الجنة وإن زنى وإن سرق. وقالت الجهمية علم الله مخلوق فكفرت بالخالق. وقالت الرافضة بعث جبريل عليه السلام إلى علي فغلط فجاء إلى محمد. فكفرت بالله وجحدت محمداً صلى الله عليه وسلم. قلت فما تقول أنت؟ قال: أقول خلق الله الخلق كما يشاء لا كما يشاؤون فمن عذبه منهم عذبه غير ظالم. ومن رحمه فرحمته وسعت كل شيء عز وجل أن يقال له لم وكيف فقد قال تعالى في كتابه العزيز " لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ". ثم قال يا ابن عامر هل أنكرت شيئاً؟ قلت لا.

قال سعيد بن عامر كان بالبصرة وال يقال له محمد بن سليمان وكان كلما صعد المنبر أمر بالعدل والاحسان. فاجتمع قوم من نساك البصرة فقالوا أما ترون ما نحن فيه من هذا الظالم الجائر وما يأمر به. فأجمعوا ان ليس له إلا أبو سعيد الضبعي. فلما كان يوم الجمعة احتوشوا أبو سعيد وهو لا يتكلم حتى يحرك فلما تكلم محمد بن سليمان حركوه. وقالوا يا أبو سعيد، محمد يتكلم على المنبر يأمر بالعدل والاحسان. فقال يا محمد بن سليمان إن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز " يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا يفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون. يا محمد بن سليمان ما بينك وبين ان نتمنى أنك لم تخلق إلا أن يدخل ملك الموت بيتك. قال فخنقت محمد بن سليمان العبرة ولم يقدر على الكلام. فقام أخوه جعفر بن سليمان إلى جانب المنبر فتكلم عنه. قال فأحبتته النساك من حين خنقته العبرة. فقالوا مؤمن مذب. قال سعيد بن عامر: كان لجعفر بن سليمان جارية اسمها الخيزران وكان مفتوناً بها وشهر ذلك بالبصرة. فركب يوماً في جماعة من الموالي يريد الجمعة فمر بأبي سعيد الضبعي فلما حاذاه قيل لأبي سعيد هذا جعفر. فرفع رأسه وقال يا جعفر تحب خيزران قال نعم. فقال أبو سعيد: نبتتها عشقت حشاً فقلت لها ... لا يعشق الحش إلا كل كناس قال فضرب جعفر وجهه دابته ومضى حياءً من الناس. وله حكايات اكتفينا منها بهذا القدر.

جعيفران

قال محمد بن جعفر الدينوري لقيت جعيفران الموسوس وقد جاء إلى علي بن إسماعيل الهاشمي المقلب بالظاهرية وكانت له هيئة فوقف بين يديه فقال أعطني درهماً فرماه الغلمان ونحوه. فقال: قد زعم الناس ولم يكذبوا ... إنك من غير بني هاشم فقال علي بن إسماعيل فضحني والله وهم بقتله. ثم قال يا جعيفران! ما تريد؟ قال درهماً صحيحاً، ورغيفاً حوارياً، وفالودجاً، فجيء بها وقعد وأكله أجمع، وأخذ الدرهم وقال: فكذب الله أحاديهم ... يا هاشمي الأصل من آدم قال عبد الله بن عثمان أبطاً عند جعيفران يوماً. ثم عاد إلينا وهو عريان يشند والصبيان يرمونه بالحجارة فسلم علي وقال يا عبد الله:

رأيت الناس يدعوني ... مجنوناً على حال
ولو كنت كقارون ... وفرعون باقبال
وما ذا عليّ حق ... ولكن هيبه المال

قلت أيجزرك شيء على غير هذه القافية في هذا المعنى حتى نعلم أنك شاعر فقال:

رأيت الناس يدعوني ... بمجنون على عمد
وما بي اليوم من حسن ... ولا لبس ولا عقد
ولو كنت كقارون ... ووالي رحبة الجند
رأوني راجح العقل ... جميلاً حسن القد
وما ذاك على حق ... ولكن هيبه النقد

فقلت أ عندك مزيد على هذا ؟ فإن جئت بالثالثة اقررت لك بأنك شاعر. فأطرق ثم قال قم بنا إلى المنزل
فقمنا معه فقال:

رأيت الناس يرموني ... بوسواس لأيامي
وما كنت أخا موق ... قديماً قبل قهيامي
ولكني أرى ذاك ... لإدقاعي وإعدامي
ولو كنت أخا ملك ... وإسراج وإلجام
إذا أكرمني الناس ... ولم أرم بالممام
وكانوا كل أوقات ... يباهون باكرامي

قال فأدخلته منزلي وغذيته وقعدت أنا وقوم من أصحابنا ثم عاتبناه على ما صنع بنفسه ووبخناه بأنواع اللوم
فأنشأ يقول:

رأيت الناس أحياناً ... ليروموني بوسواس
ومن يضبط يا هذا ... مقال الناس في الناس
فدع ما قاله الناس ... وعجل صفوة الكاس
فإن الناس يفرون ... بأمثالي وأجناسي
ولو كنت أخا ملك ... أتوني بين جلاسي
يقومون ويفدون ... على الرجلين والراس !

ثم قال يا فتى هذه أربعة وقام قومه فقال لي أحد أصحابي لو جئنا بقينة قلت ومن يجيء بقينة بين يدي مجنون
دعونا اليوم نلهو فقد حل علينا فقال:
وندامي أكلوني ... إن تغييت قليلاً

زعموا إني مجنون ... أرى العري جميلاً
كيف لا أرعى وما لب ... صر في الناس مثيلاً

باسطاً للجود كفاً ... قاتلاً خيراً فعولاً
انثي أهوى كرام ... الناس لا أهوى البخيلاً
إن أكن سؤتكم اليوم ... فخلوا لي سبيلاً
وابغوا غيري نديماً ... لكم مني بدلاً
وأتّموا يومكم ح - ياكم الله طويلاً قال فندمنا على ما كان منا فقلنا له معك نلذ ونفرح فأتينا به بثوب
فطرحناه عليه وأتيناه بقينة فأنشدت له:
لا تزوّج فتهلكا ... حذرک اليوم حذرکا
إن للعرس مرجعاً ... عينها يورث البکا
لا يغرنک سقف بي ... تت وفرش ومنتکا
عن قليل يشکي الي ... ک فترثي لمن بکا
قال محمد بن مهدي الكاتب أتى جعيفران إلى بعض الولاة وهو يأكل فدعي إلى طعامه فأكل معه فلما كان
من الغد حجب فقعد على الباب ثم كسب إليه شعراً:
عليک إذن فانا قد تغدينا ... لسنا نعود فقد کنا تسقينا
بأکله سلفت أهدت حرارتها ... ماذا بقلبك قد صمنا وصلينا
قال أبو العباس الأسيدي لقيت جعيفران فقلت له أتجز لي هذا البيت الشعر؟ قال نعم بلرهم صحيح. قلت
له نعم. قال هات فأعطيته وأنشدته.
وما الحب إلا لوعة قدمت بها ... عيون المها باللحظ بين الجوانح
فنتفکر ثم قال:
ونار الهوى تطفی عن القلب فعلها ... کفعل الذي جادت به کف قاعد
وأنشد أيضاً:
يا واعد الوعد ليس ينجزه ... أف لمن لا يتم کا وعدا
أف لمن لا يزال صاحبه ... في تعب من عذابه أبدا
أكلّ طول الزمان أنت إذا ... جسّک في حاجة تقول غدا
لا جعل الله إليك ولا ... عندک ما عشت حاجة أبدا
وله أيضاً:
لا تيأس إن کت ذا فاقة ... تتعب في نزر من الرزق
بين الفتى في شر أحواله ... صاحب خلّقان على الطرق
صار أميراً إن ذا عبرة ... وقدرة الله في الخلق
وذكر ابن أبي خالد قال كان بعض أصحابنا لقي جعيفران فقال له مصراع بيت إن آتمته فلك درهم قال
هات قال ألا عجزت عن الصبر العقول فقال بالبداهة ! لان سبيله مر تقبل هات الدرهم.

سهل بن أبي مالك الخزاعي

قال عبد الله بن ادريس مررت بابن أبي مالك فقال اسكت وغضب. وانقلبت عيناه فإن أعمالك كلها حادات. قال فوالله لقد داخلني من الفرق منه أمر عظيم. فلما كان يوم الجمعة حملت معي ثلاثة دراهم فأمرت انساناً يطلبه فوجدته. فدفعت له الدراهم فتبسم يحسني إني أكلمه فوقفت حيث أراد ثم أقبل علي فقال لي قل. قلت يا ابن أبي مالك ما تقول في النبيذ؟ قال حلال. قلت تشربه؟ قال إن شربته فقد شربه، وكيع وهو قدوة. قلت تقتدي بوكيع في تحليله ولا تقتدي في تحريمه. وأنا أسن منه. فقال إن قول وكيع مع اتفاق أهلب البلد. معه أحب إلي من مقاتلتك مع اختلاف أهل البلد عليك. وقلت له ما تقول في الغناء؟ قال قد غنى البراء بن مالك وعبد الرحمن بن رواحة. وسمع الغناء ابن عمر. وكان عبد الله بن جعفر من التابعين. وأمست فقلت له سميت جماعة من الصحابة وأمست عن عبد الله بن جعفر. فقال لأنك سألتني عن الغناء ولم تسألني عن ضرب العيدان. قال بكار بن علي كان سهل بن أبي مالك الخزاعي المجنون عالماً بالشعر. قال رجل من أصحابنا ما أجود الشعر؟ فقال ما لا يحجبه عن القلب حاجب. مثل قول جميل:

ألا أيها النوام ويحكم هبوا ... أساتلكم هل يقتل الرجل الحب

قال عبد الله بن ادريس خرجت من عند عيسى بن موسى فانا عند طاق المخامل. إذا أنا بابن مالك المجذوب جالس قد نكس رأسه كالمغشى عليه فوقفت على رأسه فقلت يا ابن أبي مالك! فانته فرعاً. فقال ما تشاء؟ قلت أي شيء أعجب معني؟ قال لو قلت من أي النساء لقلت بيضاء شقراء مجدولة شهلاء. ولو قلت أي الرجال أعجب إليك؟ لقلت أصحابهم جواباً وأحسنهم مسألة. فغير مسألتي إياه. ومدح إجابته إياي. قال فلما وليت سمعته يقول انظروا إلى ابن ادريس.

أبا خالد لا زلت سباح غمرة ... صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطي

كسنور عبد الله بيع بدرهم ... صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراط!

قال فقبعت رأسي ودخلت في أضعاف الناس. ولم أعد بعدها إلى مسألته. قال ابن ادريس مررت ذات يوم جمعة بابن أبي مالك فقلت له متى تقوم الساعة؟ قال: ما المسؤول فيها باعلم من السائل. غير إن من مات فقد قلمت قيامته. والموت أول عدل الآخرة. فقلت له المصلوب يعذب؟ قال إن كان مستحقاً فروحه يعذب. وما أدري لعل البدن في عذاب من عذاب الله. لا تدركه عقولنا. ولا أبصارنا. فإن الله سبحانه لطفاً لا يدرك. وكان جالساً في موضع رماد ومعه قطعة حصص يخط بها فيستين بياض الحصص في سواد الرماد. فقلت له يا ابن أبي مالك! ايش تصنع؟ قال ما كان يصنع صاحبنا. قلت ومن صاحبكم؟ قال مجنون بني عامر. قلت وما كان يصنع؟ قال أسمعته يقول:

ومالي بها من حيلة غير انني ... بلقط الحصى والخط في الدار مولع

قلت ما سمعته فضحك وقال أما سمعت قول الله سبحانه؟ " ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل " فهل رأيته؟

هذا يا ابن ادريس كلام العرب. قال ومر بي وأنا في المسجد فصحت به ليعطف فقال:

أقبل عليّ ان أنت بين يدي ... فأنت بين يدي رب العالمين
قال ابن أويس فأفزعني والله.

أبو نصر الجهني

قال ابن أبي فديك كان عندنا رجل يكنى أبا نصر من جهينة ذاهب العقل. وكان يجلس مع أهل الصفة في آخر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان إذا سئل عن شيء أجاب. فأتيته ذات يوم ودفعت إليه شيئاً كان معي. فقال قد صادفت منا حاجة. فقلت يا أبا نصر ! ما الشرف؟ قال حمل ما ناب العشرة أدناها وأقصاها. والقبول من محسنها. والتجاوز عن مسيئها. قلت فما المروعة؟ قال إطعام الطعام. وإفشاء السلام. وتوقّي الأذناس والآثام. قلت فما السخاء؟ قال جهد المقل. قلت فما البخل؟ قال أف. وحول وجهه عني. قلت لم؟ قال لا تجيبني قلت قد أجبتك.

قال ابن أبي فديك قدم علينا يوماً هارون الرشيد سنة ثلاث فأخلى له المسجد فوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعلى منبره. وفي موقف جبريل عليه السلام. واعتق اسطوانة التربة. ثم قال قفوا بي على أهل الصفة فلما أتاهم حرك أبو نصر وقيل له هذا أمير المؤمنين. فرفع رأسه إليه وقال أيها الرجل إنه ليس بين عباد الله وأمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينك وبين رعيتك وبين الله خلق غيرك. وإن الله سائلك عنهم فأعد للمسألة جواباً. فقد قال عمر بن الخطاب لو ضاعت سخلة على شاطئ الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة. فبكى هارون. ثم قال يا أبا نصر؟ إن رعيتي ودهري غير رعية عمر ودهره. قال دع عنك هذا. والله غير مغن عنك فانظر لنفسك فإنك وعمر لتسألان عما حولكما الله. قال ودعا هارون بمئة دينار فقال ادفعوها إلى أبي نصر. فقال أبو نصر ما أنا إلا رجل من أهل الصفة فادفعوها إلى فلان يفرقها بينهم. ويجعلني رجلاً منهم.

قال ابن أبي فديك أجذبت المدينة في سنة واشتد حال أهلها وانكشف حال قوم كانوا مستورين بها. فخرجوا يدعون وإذا أبو نصر جالس. قد نكس رأسه فقلت يا أبا نصر ! أما ترى ما في أهل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال بلى. قلت أفلا تدعو؟ لعل الله ان يفرج عنهم. قال بلى. وحول وجهه إلى القبلة. وقال اجلس بجبي فجلست. فانكب وعفر وجهه في التراب. ثم رفع رأسه وقال: يا فارح الهم. وكاشف الغم. ومجيب دعوة المضطرين. رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. صلى الله عليه وآله وسلم على محمد وعلى آل محمد. وفرح ما أصبح فيه أهل حرم نبيك. ثم غلب فذهب. فقامت من عنده فوالله ما خرجت من السوق حتى رأيت الشمس قد تغطت. فرفعت رأسي فإذا رجل من جراد أرى سوادهن في الهواء فما زلن يسقطن وأنا واقف انظر حتى ملأت المدينة. فاشتغل كل قوم ما في دارهم من الجراد فحشوا الأجواب وطحنوا وملحوا وملأ الناس الجرار والجناب والقواصير والبواقي جانب بيوتهم. ثم باض بعد ثلاثة أيام فانتشر في أعراض المدينة لم يخرج منها إلى غيرها ثم ما مرت بنا ثلاثة إلى أن جاءنا عشر سفارين إلى التجار فإذا هي في الوقت الذي دعا فيه أبو نصر. فرجع السعر إلى أرخص ما كان. ورجعت حال الناس إلى

أحسن ما كانت. فأنتيت أبا نصر وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت يا أبا نصر ! ألا ترى إلى بركة دعائك ؟ فقال لا آله إلا الله هذه رحمة الله التي وسعت كل شيء. وقال ابن أبي فديك كان أبو نصر يخرج كل جمعة فيدخل السوق فيقف على مربعة ويقول أيها الناس ! اتقوا يوماً لا تجري نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعاة ولا هم ينصرون إن العبد إذا مات صحبه أهله وماله وعمله. فإذا وضع في قبره رجع أهله وماله وبقي عمله فاختروا لأنفسكم ما يؤنسكم في قبوركم رحمكم الله. ثم لا يزال يفعل ذلك في مربعة مربعة حتى يأتي مصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يمضي إلى الجمعة فلا يخرج إلا للطهور حتى يصلي العشاء الأخيرة.

حيان بن خيثم الجنون

قال عطاء السلمي: مررت ببعض أصدقائي ظاهر البلد فناداني وسألني ان أبر قسمة وناولني سكرًا وسمناً ونشأً وقال اصلحه لي. فأمرت من اصلحه. ثم أخذته تحت كسائي أمر به إليه، إذا أنا بحيان بن خيثم الجنون فقال ما معك ؟ فقلت شيء اصلحته لبعض رفقائي. فقال اكشف عنه فكشفت فقال ارفعه فان نفوسنا نفرت من أن تأكله. قلت فما تريد ؟ قال فالزوج العارفين قلت وما هو ؟ قال خذ قند الصفا. وسمن البها. وزعفران الرضا. وماء المراقبة. وانصب طنجير القلق. وأوقد تحتها حطب الحرق. واعقده باصطام الحياء. ونار الشوق. حتى يزيد زبد الصبر. وترغو رغوة التوكل. ثم ابسط على صحاف الأنس. ثم كله. قلت فإذا أكلته. قال تصح أوجاع القلوب إلى مداويها. وتشكو ألم الضمير إلى مبليها. وتبكي العيون عن حبة مبكيها شوقاً إلى تأنسه محبتها. ثم أنشد فقال:

فهام بحب الله في القفر ساجحاً ... وحطت على سوق القدوم رواحله
نماه النهى فارتاح للخوف باطنه ... وخاف وعيذ الله فالحق شاغله
فلما جرى في القلب ماء يقينه ... فأنتت زرعاً لم تجف سنابله
طوى دهره بالصوم حتى كأنما ... عليه يمينٌ إنه لا يزياله
فعاد بحزن قد جري في ضميره ... تتوح به أعضاؤه ومفاصله
يسرّ الفتى ما كان قدّم من تقى ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

قال عطاء: ومررت به يوماً وهو في المقبرة واقف على قبر يخاطبه، فقلت من تخاطب ؟ قال: صاحب هذا القبر فإنه كان صديقي ورفيقي، قلت: وما قلت ؟ قال أقول.

يا صاحب القبر يا من كان يأنس بي ... وكان يكشر في الدنيا موآتاتي

قلت وما جاوبك ؟ قال قال:

شغلت عنك بشيء لست واصفه ... من الغموم ولوعاتٍ وبرحات
قال عطاء: مر بي يوماً في أزقة البصرة فقلت له كيف أصبحت ؟ قال

أصبحت لا أعرف ما صباحي ... من الهموم لا ولا رواحي

أفرط في جرمي وفي اجتراحي ... فصرت كالبازي بلا حناح

همام

قال قاضي أرجان كان أبو همام يقول بلاعتزال وكان همام ولده يقول بقوله. فغلب على عقله فتاه، فقيده وشدت يده إلى عنقه. قال: فدخلت عليه فجلست بعيداً خوفاً منه. وقلت له: يا همام! كيف تجلك؟ فقال لي أسكت يا قلدي، فقلت له يا سبحان الله! ما هذا الجواب؟ أليست مقالتنا ومقاتلتك واحدة؟ قال: لا ولا كرامة لك يا ابن الفاعلة. إني نظرت في مقاتلتك ومقالة عمك الضال المفتون فوجدتكما كافرين بالله تعالى فقلت: كيف؟ قال انكما تزعمان أن الله سبحانه جعل فيكما استطاعة، تغلبان بها؛ استطاعة الله تعالى، وأنت يا ابن الفاعلة تزعم أن الله سبحانه وتعالى لم يقض عليك الرنا، وأنت قضيت على نفسك، فتبارك الله في حكمه، وزعمت أن الله لو قال لك افعل، فلعلك الله ولعن عمك. قلت: فأبي قول أخذت لنفسك؟ قال رددت الأمر إلى مدبرها وخالقها. وعلمت أن خيرها وشورها ونفعها وضرها منه. قلت لبيك مت قبل هذا الوقت، فقال لي: يا ابن الفاعلة الله سبحانه أرحم بي أمهلي إلى هذا الوقت الذي عرفت فيه رشدي. قال شعيب بن مخلد الدهان: دخلت عليه يوماً فقلت له يا همام! ما هذا الذي يبلغنا عنك؟ قال وما يبلغكم عني؟ قلت بلغنا أنك انتقلت من القول بالعدل إلى القول بالجور، قال همام يا ابن الفاعلة! لو كنت تقول بالعدل لرددت الأمور إلى مدبرها وخالقها وبعد فأنت تقول بالعدل وتغشى الاثم، فرماه بجحر، فلم يزل يعرج منها. قال واجتمعت به يوماً فقلت له: يا همام! أي شيء تأمر في ميراثك لأبيك؟ فظفر إلي مغضباً وقال: أيتوارث أهل ملتين مختلفتين؟ قلت له أو نحن ملتان مختلفتان؟ قال نعم: أنتم تزعمون أن الله قضى الخير، ولم يقض الشر، وأنا أقول: أن الله قضى الخير والشر. وإن من عذبه عذبه غير ظالم، ومن رحمه فرحمته وسعت كل شيء، رحمه الله تعالى.

بعيل أو جعيل

قال عبد الله بن محكم الحمصي سألت بعيلاً وكان من أهل الحبة. متى يصح للعبد الولاية؟ قال: إذا سبقت له العناية، وكان من مولاه في كفاية. قال وسمعتة يقول وقد سئل عن العارفين: قوم لهم هم تسمو بهم أبداً... إلى جليل عظيم القدر غفار قال جعفر بن عبد القادر المقدسي: سألت جعيلاً عن حد الزهد، فقال: استصغار الدنيا. فلما وليت، دعاني فقال: هو محو الدنيا من القلب، قال وسمعتة في بعض الخرابات وقد خنقته العبرة وهو يقول: يا رجائي وعصمتي ومنائي... الإحتم اليوم ذلتي وبكائي يا حبيبي ومؤنسي وعمادي... وغياثي ومعقلي ورجائي

يوحنا

قال محمد بن عبد الرحمن: كنت أنا ووكيع بن الجراح بفناء دار بن صالح بالجبانة فطلع علينا عبادي على حمار وهو من أهل الحيرة يقال له يوحنا، وكان مروراً، وكانت مرته تعيج تارة، وتسكن أخرى. فقلت

لو كيع اسمع جواب العبادي. فلما حاذانا، قال له وكيع: يا يوحنا ! لو نزلت وتحدثت معنا في هذا الفناء الكثيب. قال يوحنا: يا أبا سفيان نعم المجلس لمن كفى أهله مصالحهم. فقال له وكيع: ناولني خاتمك فناوله، فإذا عليه مكتوب العزة لله. محمد خير البرية، قال له وكيع يا يوحنا ! ما تقول في تقدمه أبي بكر وعمر ؟ قال أقدمهما في الإمامة، ولا أقدمهما في المحبة. ثم أقبل على وكيع وقال: يا أبا سفيان وفي المحبة.

أبو علقمة

قال أبو زيد النحوي كنت أنا ورجل من قيس ومعه ابن له نريد الجمعة. وأبو علقمة على باب المسجد جالس. فقال الغلام لأبيه: أكلم أنا أبا علقمة. فقال لا، فأعاد عليه الغلام ثلاثاً فقال له أبوه: أنت أعلم، فقال الغلام يا أبا علقمة ! ما بال لحي قيس قليلة خفيفة المؤنة، ولحي اليمن كبيرة عريضة شديدة المؤنة ؟ قال: من قول الله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته ... والذي خبث لا يخرج إلا نكدا مثل لحية أيك ! قال فجذب القيسي يده من ابنه ودخل في غمار الناس حياءً وتسترًا.

نمير

قال علي بن ظبيان كان نمير من نساك أهل الكوفة، وكان قد سمع سماعاً حسناً. وكان مواظباً على العبادات. فعرض له، فذهب عقله، وكان لا يأوي سقف بيت. فإذا كان النهار فهو في جبانة القبور، وإذا كان الليل فهو في وسط السطح قائماً على رجليه في البرد والمطر والرياح. وكنا في بعض ما هو فيه من البرد والمطر والرياح، فنزل بكرة ذات يوم يريد المقابر فقلت يا نمير ! تنام ؟ قال لا، قلت: وما العلة التي منعتك من النوم ؟ قال هذا البلاء الذي تراه بي. قلت له: يا نمير ! ما تخاف الله تقول البلاء ؟ قال: أليس قد جاء في الخبر أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. فقلت أنت أعلم مني قال كلا ومضى.

سلمة

قال الحسن بن صالح قلت لسلمة يوماً من الأيام: يا سلمة ! أتؤمن بالمعاد ؟ ففتح عينيه وغضب وقال: نعم يا حسن كأني أنظر إلى القيامة وقد قلمت، وإلى كرسي القصاص وقد وضع كما شاء الله، وإلى الموازين قد نصبت، وإلى الصحف قد نشرت كما شاء، وكأني أنظر إلى فريق في الجنة، وفريق في السعير، ولكن يا حسن اتق الله ولا ترد أمر الله. فقال له الحسن: وكيف أرد أمر الله ؟ فقال: انكم معاشر الشيعة ترمون أن أبا بكر وعمر إماما عدل وقد قال الله في كتابه العزيز أن الله يأمر بالعدل والاحسان فنولية أبي بكر وعمر من عدل الله الذي أمر به فإن لقيت الله بهذه المقالة لقيته وأنت من الخاسرين. قال عثمان وقلت له يوماً: ادع الله لي. فقال: أستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

" وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ". ثم قال يا عثمان ! إن الله سبحانه لم يخص أحداً، ولم يحصرها عن أحد، فيا من أمر بذلك هب لنا ولعثمان العافية في الدنيا والآخرة.

عشرة المدني

كان رجلاً عجمياً وكان يجلس تحت دار سعيد بن العاص فمر به يوماً إبان بن عثمان متولي الشرطة. فقال لصاحب بابه: احجب الناس من بين يدي، ومن خلفي. ودنا إلى عشرة المدني وكان إذا قيل له يا عشرة، تجرد. فقال له إبان بن عثمان: يا عشرة ! فلم يتكلم فأخ عليه فمسك لحيته بيده وتكلم بالفارسية: يا ريش كان اللحم إذا فسد داوينا بالملح، فإذا فسد الملح بأي شيء يداوى؟ قال إبان بن عثمان: إذا كان الأمر على ذلك. فمن عاد صالح له بهذا الاسم يعني عشرة جلده بكذا وكذا سوطاً.

سابق

قال أبو هاشم إسرائيل بن محمد القاضي: كان بالمهرجان معتوه يقال له: سابق، وكان متوحشاً مأواه الخرابات والمقابر والغياض. وكتبت أحب أن أراه وأكلمه، فأتيته يوماً بالمقابر وقد وضع رأسه على قبر، فلم يشعر بي حتى سلمت عليه. فقال: وعليكم السلام. ثم هبته، فرفع رأسه إلي وقال لي: يا إسرائيل ! خف الله خوفاً لا يشغلك عن الرجاء. فإنك إن ألزمت قلبك الرجاء يشغلك عن الخوف. وفر إلى الله، ولا تفر منه، فإنه يدركك ولن تعجزه، ولا تطع المخلوق في معصية الخالق. واعلم أن الله يوماً تشخص فيه الأبصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفتدقهم هواء. ثم قام فدخل الخرابات. فعدت إليه بعد شهر، فلما أبصرني هرب، فقلت له يا سابق لا أعود إليك بعدها، فوقف فقلت: علمني كلمات أدعو بمن. فقال: أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس، ثم قال: قل اللهم اجعل نظري عبرة، وسكوني فكرة، وكلامي ذكراً. ثم تخطى حائطاً من الخراب ومضى.

قال خلف بن سالم: قلت لو يوماً يا أبا علي ألك مأوى؟ قال نعم: قلت فأين هو؟ قال دار يستوي فيها العزيز والذليل. قلت وأين هذه الدار؟ قال المقابر. قلت له: يا أبا علي أما تستوحش في ظلمة الليل ووحشته؟ قال: إني أذكر ظلمة اللحد ووحشته، فيهون علي ظلمة الليل ووحشته. فقلت له: فهل ترى في المقابر شيئاً تكرهه؟ قال: أرى، ولكن في هول ما يشغل عن هول المقابر أعادنا الله تعالى.

أبو جوالق

قال بعضهم: خرج أبو جوالق يوماً فلقبه بعض أصدقائه فقال: إلى أين يا أبا جوالق؟ فقال اشتري حماراً. فقال له صديقه: قل إن شاء الله فقال: ما هذا موضع إن شاء الله. الدراهم في كمي، والحمار في السوق.

قال ومضى إلى السوق فسرقته منه دراهمه. فعاد فراآه صديقه حزينا فقال له: اشتريت الحمار؟ فقال له: سرقت الدراهم إن شاء الله.

ثوبان القرميني

قال إسماعيل بن وهب: ركب يوماً في مركب من البصرة أريد سيراف. فهاج البحر بريح شديدة، وكان معنا في المركب ثوبان القرميني، فلحظ السماء بطرفه وقال: أقسمت عليك يا مأوى همم العارفين، ألا كشفت عنا الأذى. فما استتم الكلام حتى سكنت الريح، ونجونا. وروي عنه أنه كان إذا جنة الليل، يناجي ربه ويقول:

يا سروري ومنيتي وعمادي ... وأنيسي وبغيثي ومرادي
أنت روح الفؤاد أنت رجائي ... أنت لي مؤنس وشوقك زادي

أبو الصقر

قال بكر بن سليمان: مررت يوماً بأبي الصقر فقال لي: أمعك سيورجه قلت وما تريد؟ قال أمني عليك شيئاً قلت نعم. فأخرجت لوحاً كان معي فقال أكتب:
أنا إلى الله وأنا به ... يرتفع الناس وأنحط
قد صرت نطوا في فراش الهوى ... كأني من فوقه خط

سلمة الموصلية

قال نعيم الخشاب: كان سلمة الموصلية أديباً ظريفاً قبل أن حولط. فماتت له زوجة فحولط. فمررت به ذات يوم وهو يقول لبعض أصدقائه: عليك بقصر الأمل، والاختلاع من الحول والقوة والقدرة، وكل الأمور إلى خالقها ومدبرها تسترجع وإياك والكسل فإن أخذه أليم شديد. وسمعت يوماً ينشد وهو واقف على قبر:

حسب الخليلين أن الأرض بينهما ... هذا عليها وهذا تحتها بالي
قال نعيم: وكان يجلس عندي في بعض الأحيان فأطعمه وأشهيه، فقلت له يوماً: يا سلمة ما الفرق بين الفعال والفعال؟ فقال الفعال العيار في المصنوعات وهي عام، والفعال في المكارم وهي خاص. قال وكان عندي ليلة فأراد الخروج فهبت ريح شديدة فقال يا غلام هات الهلة قلت وما الهلة قال بيت المستراح.

ولهان المجنون

كان مجنوناً ذاهب العقل قال ذو النون المصري: رأيت ولهان يوماً وهو يطوف حول البيت وهو يقول:
شوقك قتلني، وجبك أفلقني، والاتصال بك أسقمني، فقدت قلباً يحب غيرك، وثكلت خواطراً تسر بسواك.

وحكى أحمد بن إبراهيم الدوري قال: كان ولهان المجنون مهيباً، ذا هيبة، وكان كل من يراه يهابه من سلطان أو غيره. وكان يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، وكان يقول: يا أيها الناس تزودوا ليوم الدين، يوم تنشر فيه الدواوين، وتنصب فيه الموازين، وينتصف فيه المظلومون من الظالمين. اعملوا، في الأيام تراخ، وفي النفس مهلة، قبل أن تؤخذوا على غرة.

بكار المجنون

قال إدريس بن عبد الرحمن: خرجت يوماً من الجامع أريد الرجوع إلى منزلي، وإذا أنا بكار المجنون وهو قائم في السوق يقول: " واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ". فلا يزال كذلك في مربعة مربعة حتى إذا أفلت الشمس نادى: " ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه ". ثم أنشأ يقول:
ولمت قلوب العارفين يحبه ... فتناشروا وتبايعوا الأعمالا
قال علي بن بكار: سمعت بكار المجنون في جامع البصرة يقول: يا أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء، ولا تعبدوه رهباً من نيرانه، ولا طمعاً في جنانه، بل عبوديةً واستحقاقاً.

نقرة المجنون

قال عبد الله بن محمد العتيبي: بينا أنا ذات يوم في صحن داري إذ هجم علي نقرة المجنون، فخفت منه وقلت: أنا بين ضربة ولطمة. فوقف في جواربي وأنشأ يقول:
نظرت إلى الدنيا بعين مريضة ... وفكرة مغرور وتأميل جاهل
فقلت هي الدار التي ليس مثلها ... ونافست فيها في غرور وباطل
وضيعت أيامي أمامي طويلة ... بلذة أيام قصار قلائل
ثم ولى هارباً، فوثبت إلى الدواة وكتبت الأبيات، وأغلقت الباب.

سمنون

قال ابن فاتك: قلت لسمنون أي منزل إذا نزله العبد قام مقام العبادة؟ قال: إذا ترك التدبير. قال وقلت له يوماً: يا سمنون أسألك عن المحبة، قال عن محبة الله إياك تسأل أو عن محبتك إياه؟ قلت عن محبة الله لي. قال: لا تطيق الملائكة أن تسمع ذلك. فكيف تطيق أنت وأنشد سمنون:
لا لأني أنساك أكثر ذكرا ... ك ولكن بذاك يجري لساني
أنت في النفس والجوانح والفلك ... ر وأنت المنى وفوق الأماني

فإذا أنت غبت عني عياناً ... أبصرتك المنى بكل مكاني
وقال له بعض الخلفاء: يا سمنون كيف وصلت إليه؟ قال ما وصلت حتى عملت ستة أشياء. أمت ما كان
حيّاً وهو النفس، وأحييت ما كان ميتاً وهو القلب، وشاهدت ما كان غائباً وهي الآخرة، وغيبت ما كان
شاهداً وهي الدنيا، وأبقيت ما كان فانياً وهو المراد، وأفنيت ما كان باقياً وهو الهوى، واستوحشت مما
تستأنسون، وأنست مما تستوحشون. ثم أنشد:

روحي إليك بكلّها قد أجمعت ... لو أن فيك هلاكها ما أقلعت
تبكي عليك بكلها في كلها ... حتى يقال من البكاء تقطعت
انظر إليها نظرةً بمودةٍ ... فلربما منعتها فممنعت
وله أيضاً:

لطائف بركّ ما تنقضي ... وطاعات خلقك ليست تضي
تفاضوك برّاً فأوفيتهم ... ولم يقتضوا لك ما يقتضي
وما تبصر العين يا سيدي ... سوى ما تحب وما ترتضي
قال سمنون: أقمت مطروحاً على باب بني شيبه سبعة أيام مهموماً، فهتف بي هاتف في آخر ليلي. من أخذ
من الدنيا فوق ما يجزيه، أعمى الله عيني قلبه، وأنشد:

أجلك أن أشكو الهوى منك انبي ... أجلك ان تومي إليك الأصابع
فأصرف طرفي نحو غيرك عامداً ... على أنه بالرغم نحوك راجع
قال: سئل سمنون أي الطعام أطيب؟ قال لقمة من ذكر الله، في فم النفس بتوحيد الله، رفعتها من مائدة
الرضا عن الله، عند حسن الظن بكرامة الله وأنشد:
حرام على قلب تحرم بالهوى ... يكون لغير الحق فيه نصيب
تفرد فيه فانفردت بحبه ... فصار عليّ شاهد ورفيق

قيل له ما علامة من بقي له ربه. قال يا هذا اجعل قبرك خزانة، واحسنها من كل عمل صالح، فإذا وردت
على ربك سرّك ما ترى. وقال سمنون: رأيت إبليس في المنام ولا شك أنه إبليس، فأخذت عصاي لأضربه،
فهتف بي هاتف: هو لا يهرب من عصاك، وإنما يهرب من نور القلب وأنشد:
بين المحبين سرٌّ ليس ينسبه ... قول ولا قلم في الخلق يحكيه
سرٌّ يمازجه انس يقابله ... نور تحيّر في جوٍّ من النيه
وله أيضاً:

الحب شيءٌ لطيف ليس يدركه ... عقل لإدراكه عزّ وتديبر
لكنه في مجاري السرّ بعرفه ... أهل الإشارة عزّ لا كيف وتقدير
قال محمد بن عبد الله: سألت سمنون عن قول النبي صلى الله عليه وسلم، روحوا القلوب تعي الذكر. فقال:
معناه روحوا القلوب من هموم الدنيا تعي اذكار الآخرة.

قال إبراهيم بن فاتك: سئل سمنون عن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم، المؤمن يأكل في معي واحد،

والكافر يأكل في سبعة أمعاء. فقال واحد منها طبع، وستة حرص، فالمؤمن يأكل بمعنى الطبع، والكافر يأكل بأعضاء الحرص، وأنشد في المعنى:

لئن أمسيت في ثوبي عديم ... لقد بليا على حرّ كريم
فلا يحزنك ان أبصرت حالاً ... مغيرة عن الحال القديم
فلي نفس ستذهب أو سترقى ... لعمرك بيّ في أمر جسيم
قال سمنون رأيت راهباً في صومعة. فقلت له كم لك في هذه الصومعة؟ فقال منذ ثلاثين سنة. فقلت ما أفادتك الخلوة. قال ويحك! هل رأيت وزيراً يخرج سر أميره؟ وما أنشد سمنون:
يا من فؤادي عليه موقوف ... وكل همي إليه مصروف
يا حسرة حسرة أموت بما ... ان لم يكن لي لديك معروف
وله أيضاً:

ألست لي عوضاً مني كفى شرفاً ... مما وراءك لي حظ ومطلوب
رأيت أسباب راحتي بما عطفي ... عن العزاء فصبري في مغلوب
لو أن أيوب لاقى بعض ضرك لي ... لضح من بعض ما لاقيت أيوب
وله أيضاً:

أفسدتني بهواك هل أصلحتني ... لم أرض بعدك كائناً من كانا
من ودني قد كان ودك فوقه ... فتركتني أتسخط الأخوانا
قال أبو نعيم الحافظ: سمنون هو ابن حمزة الخواص أبو الحسين، وقيل أبو بكر البصري سكن بغداد ومات قبل الجنيد وسمى نفسه سمنون الكذاب بسبب أبياته التي قال فيها:
فليس لي في سواك حظ ... فكيف ما شئت فامتحتني
فحصر بوله من ساعته فسمى نفسه سمنون الكذاب.

ومن شعره قوله:

وكان فؤادي خالياً قبل حبيكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلما دعا قلبي هواك أجابه ... فلست أراه عن فئاتك يبرح
رميت بنين منك إن كنت كاذباً ... وإن كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وإن كان شيء في البلاد بأسرها ... إذا غبت عن عيني بعيني يملح
فإن شئت واصلني وإن شئت لا تصل ... فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

عبيد الجنون

قال ذو النون أردت الخروج إلى بيت الله الحرام، فإذا أنا في الطريق بفتى قد افترش التراب وتوسده، وهو يئن أنيناً شديداً، فقلت لرفيق كان معي: مر بنا نعود هذا العليل، فقال ما هو عليل، بل هو عبيد الجنون،

فعدلت إليه، فإذا عليه جبة صوف خلق: قد أدخل رأسه في جيبتها، وهو يبكي ويقول:
يا طبيب السقام داوي اعتلامي ... فعليل الفؤاد ليس يعاد
حلف السقم لا يزائل قلبي ... أيزور الفؤاد مني اللحادا
ثم قال عجبت ممن خلقه الله بشرياً سوياً، وجعل له عقلاً سنياً، وبصراً مضياً، كيف تهدي جوارحه، وكيف
لا تنوح جوارحه، ثم بكر وقال:
قطعوا الليالي في الظلام فأعقبوا ... يوم المعاد تحيةً وسلاماً

عبدان

قال عمرو بن مدرك مر عبدان المجنون يوماً بقوم من بني تميم الله بن ثعلبة، فعبثوا به وآذوه، فقال يا بني تميم
الله، ما أعلم ما في الدنيا خير منكم. قالوا: وكيف ذاك؟ قال بنو أسد ليس فيهم مجنون غيري وقد قيدوني
وسلسلوني. وكلكم مجانين ليس فيكم مقيد واحد.

صباح الموسوس

قال محمد بن المغيرة وقف صباح الموسوس على قوم فسأهم شيئاً فردوه فولى وهو يقول:
أسأت إذ أحسنت ظني بكم ... والحزم سوء الظن بالناس
قال محمد بن المغيرة: مر صباح بقوم فظن بهم خيراً فردوه وكانوا سبعة. فسأل أحدهم فقال ما اسمك؟ قال
غليظ، وقال للثاني ما اسمك؟ فقال الحشن، فقال للثالث وأنت؟ فقال وعر، فقال للرابع وأنت؟ فقال
شداد، فقال للخمس وأنت؟ فقال رداد، فقال للسادس وأنت؟ فقال ظالم، فقال للسابع وأنت؟ فقال
لاطم. قال صباح وأين مالك؟ قالوا ومن مالك؟ يا مجنون! قال أستم خزنة النار؟ الغلاظ الشداد!.

شقران المجنون

قال أبو عثمان الواسطي خرجنا غزاةً في الصائفة، فنحن في بعض الثغور، إذ رأيت الناس مزدحمين. فجئت
فإذا أنا بمجنون يقال له شقران، وهو يقول الدنيا دار خراب وأخرب منها قلب من يعمرها. والآخرة دار
عمران وأعمر منها قلب من يطلبها. وسمعتة مرة أخرى يقول الدنيا دار زوال وانتقال واضمحلال.
والآخرة دار جلال وجمال وكمال. قال وسألته من الحكيم؟ فقال من لا يتعرض للعذاب الأليم. قلت وما
العذاب الأليم؟ قال البعد عن الكريم.

هتاهية

قال محمد بن إبراهيم قال لي أبي كان عندنا مجنون يقال له هتاهية. يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر، فيكون
في إفاقته ساكناً، وإذا هاج أكثر الكلام وصعد إلى السطوح. ويقول يا نيام! انتبهوا من رفة الغفلة، قبل

انقطاع المهلة، واعملوا في إعداد العدة، قبل انقضاء المدة، واعلموا أن أحيالكم مقصودة، وأعمالكم محفوظة، والموت يأتي بغتة.

بكار العريان

قال أبو يعقوب السوسي رأيت يبلد مجنوناً يقال له بكار العريان. على سوءته خرقة، ويده قصبة على رأسها كالعلم، وهو يعدو ويقول:

كفى حزناً إني مقيم ببلدة ... أحباي عنها نازحوي بعيد

أقلب طرفي في البلاد ولا أرى ... وجوه أحبائي الذين أريد

قال قلت ومن أحباؤك؟ فأخذ بيدي وأدخلني المقابر وأشار إليها، وقال هؤلاء.

شيبان المجنون

قال سالم خادم ذي النون بينا أنا أسير مع ذي النون في جبل لبنان، إذ قال لي مكانك يا سالم لا تبرح حتى أعود إليك، فغاب عني ثلاثة أيام، وأنا أتعيش في نبات الأرض وبقولها، وأشرب من غدرانها. ثم عاد بعد ثلاثة أيام مغبر اللون حائراً، فلما رأني عادت إليه نفسه. فقلت له أين كنت؟ قال إني دخلت كهفاً من كهوف الجبل، فرأيت رجلاً أغبر أشعث، نحياً نحيفاً. كأنما أخرج من حفرة وهو يصلي، فلما قضى صلاته سلمت عليه، رد علي السلام وقام إلى الصلاة، فما زال يركع ويسجد حتى قرب العصر، فصلى العصر واستند إلى حجر بجذاء الخراب فسيح. فقلت يرحمك الله توصيني بشيء أو تدعو لي بدعوة. فقال يا بني آنسك الله بقربه وسكت. فقلت زدني. فقال يا بني من آنسه الله بقربه أعطاه أربع خصال. عزاً من غير عشيرة، وعلماً من غير طلب، وغنى من غير مال، وأنساً من غير جماعة. ثم شهق شهقة فلم يبق إلى الغد حتى توهمت أنه ميت. ثم أفاق فقام فتوضأ. وقال يا بني كم فاتني من الصلاة؟ قلت ثلاث فقضاها. ثم قال إن ذكر الحبيب هيح شوقي، وأزال عقلي، قلت إني راجع فردني. قال أحب مولاك، ولا ترد لجه بديلاً. فإن الحيين لله هم تيجان العباد، وزين البلاد، ثم صرخ صرخةً فحركته فإذا هو ميت. فما كان إلا بعد هنيهة إذ بجماعة من العباد منحدرين من الجبل، فصلوا عليه وواروه. فقلت ما اسم هذا الشيخ؟ قالوا شيبان المجنون. قال سالم فسألت أهل الشام عنه. فقالوا كان مجنوناً هرب من أذى الصبيان. فقلت هل تعرفون من كلامه شيئاً؟ فقالوا نعم كان إذا خرج إلى الصحراء يقول: فإذا لم أجن يا إلهي فبمن؟ وربما قال فإذا لم أجن بك فبمن؟

عفان الموسوس

قال الأصمعي قيل لعفان الموسوس لم لا تتعاج لما بك؟ فقال قصر الرشا، وطالت البئر، وأين الملتقى؟

لقيط المصري

قال ذون النون المصري مررت ذات يوم بلقيط المصري، وهو يخط على الأرض باصبعه، فتأملت فإذا هو قد كتب:

فلّ حياء الناس من ربهم ... وكلهم يظهر تقواه
ليس ينال المرء من دينه ... ما نال في عاجل دنيه
يخاف أن يمقته أهله ... ولا يبالي مقت مولاه
وعابد الله يرى برّه ... في كل ما سرّ وما ساه
همته في كل أسبابه ... رضوان ذي العزة مولاه

ميمون الواسطي

قال المسيب بن شريك بلغني ان ميمون الواسطي المجنون أدخل على الحجاج ابن يوسف وكان ميمون بليغاً عابداً فقال له الحجاج: أتجنن أهل مثل هذا الكلام وتسمى مجنوناً؟ فقال يا حجاج! إن أهل البطالة إذا نظروا لأهل الحجة سموهم مجانين وقد سبق القول منهم، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا: لا تضمنون بيوم الحساب، وأنت يا حجاج! لو كنت تؤمن بالله واليوم الآخر بكلية قلبك، لشغلك عن أكل الطيب، وليس اللين، ولكنه استقدرك، فطردك، ولو أراذك لاستعملك. إن الله عبداً مطهرين مطيعين، بالعبادة مشغولين، وهم ثلاثة أصناف: قوماً عبدوه شوقاً إليه، فقلوبهم لا تشتغل بغيره، لأن قلوبهم قد ألفت، وسقاهاهم ربهم بكأس الوداد شربةً فقاموا شوقاً، فلا تحط رحاهم إلا في قرب الله. فهم خاصته في أرضه. وقوماً عبدوه خوفاً من النار، لما سمعوا قوله تعالى: "قروا أنفسكم وأهلكم ناراً" فحذروا وبادروا واجتهدوا خوفاً من النار من تحتهم ومن فوقهم وعن أيامهم، وعن شمائلهم. فالأفاعي تلسعهم، والعقارب تلذعهم، كلما استغاثوا جلد لهم العذاب، وهو عدل من الرحمن. وقوماً عبدوه طمعاً في الجنة دار أوليائه، محل أصفياه. لما سمعوا قوله تعالى "سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار" فصبروا على الألم، حتى استوجبوا الرضى، والعفو عما مضى، فقلوبهم تحن إلى جوار الله سبحانه، ليسكنهم في قصور من فضة، وخيام مزينة، ومجالس متخذة، والخور أزواجهم، والطيور يظلمهم، والملائكة تخدمهم. فقال الحجاج يا ميمون! وصفت الجنة ولم تصف أزواجها، فهل لك أن أريك شيئاً يذهل عقلك، ويلجج لسانك؟ ثم نادى الحجاج يا أملىس! فخرجت جارية معتدلة القامة، في حسن تام، عليها قباء رقيق وهي تمشي وتخطر، ولها ذوائب قد جللت أكتافها. فلما نظر إليها ميمون قال: ويحك يا حجاج! ما تصنع بهذه الجارية ولها أجل مسمى، وأيام محصاة؟ ثم اخرج من كمره رغيفاً يابساً فقال يا حجاج! انظر إلى هذا الرغيف ويوسته، إن أطعمته جائعاً ملهوفاً رجوت الله أن يزجني جارية كأن الشمس تطلع من بين عينيها، وكأن الغنج يجري في حر كاتما فأطرب، وتكلمني فأنعم، وأرجو أن أكون قد استوجبتها في هذا الوقت لقولي الحق، وتركي الهوى. قال الحجاج يا ميمون: امدحني فأحسن جائزتك. قال يا حجاج! والله ما أعرف فيك خيراً فأقوله. وإن

قلت ما أعرف فيك ذمتك، ولكن ما أذم الناس، لأن في نفسي ما شغلني عن عيب غيري. قال الحجاج: قد أمرت لك بأربعة آلاف درهم. قال: المال فردده إلى الموضع الذي سرق منه، ولا تكن لصاً جواداً تجود به على من ان ذمك لا يضرك، وإن مدحك لا ينفحك. خلي سبيلي أسأل الله بقوت يغني عن نوالك ونوال أضرابك. فخلي سبيله. وسيجيء باقي قصة ميمون معه.

طيورية الجنون

كان يحيى بن متمم الدوسي يقول: كان بدير العاقول مجنون يقال له طيوربة وأخذته الشرط وهو يبول على باب المسجد فضربوه. فقال: أرايتم لو بال ههنا حمار أكتتم تضربونه؟ فهبوني حماراً فتركوه.

غورك المجنون

قال أبي إسحاق بن إبراهيم الابلي: رأيت غورتا المجنون يوماً خارجاً من الحمام والصبيان قيام يضربونه ويؤذونه وهو يبكي قتلته: ما خبرك يا أبا محمد؟ قال قد أذاني هؤلاء الصبيان، أما يكفي ما أنا فيه من العشق والجنون؟ قلت: ما أظنك مجنوناً. قال بلى والله وبى وعاشق شديد. قلت: هل قلت في عشقك شيئاً؟ قال: نعم ثم أنشد:

جنون وعشق ذا يروح وذا يغدو ... فهذا له حدٌ وهذا له حدٌ
هما استوطنا قلبي وجسمي كلاهما ... فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد
وقد سكنا تحت الحشا وتحالفا ... على مهجة أن لا يفارقها الجهد
وأى طيب يستطيع بحيلة ... يعالج من داعين ما منهما يدٌ
قال الأيلي: فوليت عنه فقال قف واستمع ما أقول فإن شرح غرامي على الخلى يطول فوقف فأنشد.
قال محمد بن الزراد: قلت لغورك ما حيرك؟ قال جنون وعشق قد بليت بهما، والذي بليت به من هؤلاء الصبيان أشد. وقال:

جنون ليس يضبطه الحديد ... وحبٌ لا يزول ولا يبيد
فجسمي بين ذاك وذا نحيل ... وقلبي بين ذاك وذا عميد
ثم قال لي إنصرف ما سمعته يكفيك وأخذ يوماً بيد المتهم بعشقه فقال له المعشوق كيف أصبحت؟ فقال:

أصبحت منك على شفا جرفٍ ... متعرضاً لموارد التلف
وأراك نحوي غير ملتفٍ ... محرراً عن غير منحرف
يا من أطال بهجرة أسفي ... أسفي عليك أشد من تلفي
قال: وقلت لغورك يوماً أخبرني باحسن ما قلت في الحب؟ قال:
كتمت جنوني وهو في القلب كامنٌ ... فلما استوى والحب أغلبه الحب
وقلبي والجسم الصحيح مذيبه ... فلما ذاب الجسم ذلَّ له القلب

فجسمي نحيل للجنون وللهوى ... فهذا له نهب وهذا له نهب
قال جعفر بن إسماعيل: أتى غورك بطبيب يعالجه، فقال الطبيب: لو تركتني لعالجك وأصلحتك. فأنشأ
غورك يقول:

إعلم وأيقن أيها المتكلم ... ما بي اجلّ من الجنون وأعظم
أنا عاشق فإن استطعت لعاشق ... برءاً مننت به فأنت محكم
حسبي عذابي في الهوى حسبي به ... إذ من أهيم به يصدّ ويصرم
هيهات ! أنت بغير دائي عالم ... وسواك بالداء الذي بي أعلم
دائي رسيس قد تضمنه الهوى ... تحت الجوانح ناره تتضرم
وله أيضاً:
هلموا انظروا ما أورث الحبّ انله ... أحذركم شرّ الهوى وعواقبه
وأغرى بنفسي الشوق والههم والاسى ... فأرقني بالليل أرعى كواكبه

عباس الجنون

قال محمد بن المبارك: صعدت جبل لبنان فإذا برجل عليه جبة من صوف مكتوب عليها: لا يباع ولا
يوهب. قد انتزرت بمأزر الخشوع، وارتدى برداء الورع، وتعمم بعمامة التوكل. فلما رأيته استخفى وراء
شجرة بلوط، فناشدته الله أن يظهر فظهر. فقلت كيف تصبر على الوحلة في هذه القفار؟ فضحك وأنشأ
يقول:

يا حبيب القلوب من لي سواكا ... إرحم اليوم مذنباً قد أتاك
أنت سؤلي ومنيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحب سواكا
يا مرادي وسيدي واعتمادي ... طال شوقي متى يكون لقاكا
ليس سؤلي من الجنان نعيم ... غير اني أريدها لأراكا
ثم غاب، وعدت مراراً فلم أره. فسألت عنه فقيل لي إنه العباس الجنون له اكلتان في كل شهر من ثمر
الشجر والعشب.

مان الموسوس

واسمه محمد بن القاسم

قال بكار بن علي: عزم صاحب الشرطة علي فالتمس مني من يناديه فأشرت إليه بمان الموسوس فأحضر،
فأمر به فأدخل الحمام، وأليس ثياباً ثم أدخل عليه. فقال السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله. فقال وعليك
السلام يا مان ! قد آن لك أن تزورنا على شوقنا إليك. فقال أصلح الله الأمير الشوق شديد والمزار بعيد
والود عنيد، والحجاب صعب والبواب فظ، ولو سهل لنا لأذن لسهلت علينا الزيارة. فقال محمد بن عبد

الله بن طاهر صاحب الشرطة للحسن بن طالوت: ما أحسن ما يلفظ في تسهيل الاذن ! فأمره بالجلوس
فجلس. ودعا محمد بجارية تسمى بنوسة جارية ابن المقرئ وكان يحب سماعها، وكان أول ما غنت به:
ولست بناس إذ غدوا فتحملوا ... دموعي على الحدين من شدة الوجد
وقولي وقد زالت بعيني همولهم ... بواكر تحدي لا تكن آخر العهد
فقال مان: أتأذن لي يا سيدي؟ قال في أي شيء يا مان؟ قال في استحسان ما أسمع. فقال أذنت لك فقل ما
أحببت، فقال أحسنت! بحق الأمير إلا زدت هذين البيتين:
وكيف أناجي الفكر والدمع حائر ... بمقلة موقوف على الصبر والجهد
ولم يعدني هذا الأمير بعدله ... على ظالم قد لح في الهجر والصد
فقال له محمد: ومن أي شيء استعديت يا مان؟ فاستحيا وقال: لا من ظلم أيها الأمير ولكن الطرب حرك
شوقاً كامناً فظهر. وهل بعد الشيب من صبوة؟ ثم غنت بنوسة بشعر أبي العتاهية:
حجبوها عن الرياح لأني ... قلت للريح بلغيتها السلاما
لو رضو بالحجاب هان ولكن ... منعوها يوم الرحيل الكلاما
فقال مان ما كان على قائل هذا الشعر لو زاد فيه هذين البيتين:
فتنفست ثم قلت لطيفي ... ويك لو زرت طيفها إماما
حبها بالسلام سراً وإلا ... منعوها لشقوتي أن تناما
قال محمد: أحسنت يا مان! ثم غنت بنوسة بشعر أبي نواس:

يا خليلي ساعة لا تريما ... وعلى ذي صباية فأقيما
ما مررنا بقصر زينب إلا ... فضح الدمع سرّي المكتوما
فقال مان: والله لولا رهبة الأمير، لأضفت إلى هذين البيتين بيتين، لا يردان على سمع ذي لب فيصلرا إلا
عن استحسان منه لهما. فقال الأمير محمد: الرغبة في حسن ما تأتي به حائلة عن كل رهبة فقال ما بدا لك.
فقال:

ظبية كالهلال لو تلحظ الصخ ... ر بطرف لغادرته هشيماً
وإذا ما تبسمت خلت ما يب ... دو من النغر لؤلؤاً منظوما
قال محمد: أحسنت يا مان! فأجز هذين البيتين:
لم تطب اللذات إلا بما ... دارت به ألفاظ بنوسة
غنت غناءً عبرة ... كانت بحسن الصبر محبوسة
وكيف صبر النفس عن غادة ... تظلمها إن قلت: طاووسة
وجرت ان شبهتها باثة ... في جنة الفردوس مغروسة
وغير عدل ان عدلنا بما ... لؤلؤة في البحر مغموسة
جلت عن الوصف فما فكرة ... تدر كها بالنعث محسوسة

فقال بنوسة: قد وجب شكري يا مان ! فاعلك دهرك، وعطف عليك إلهك، وقارنك سرورك، وفارقك
محدورك، والله يديم لنا ولك من بقاءه اجتمع شملنا، وطاب يومنا. ثم قال مان:
مدمن الإغضاء موصول ... ومديم المتب مملول
ليس لي خلّ فيقطعني ... فارقت نفسي الأباطيل
أنا موسول بنعمة من ... حبله بالحمد موسول
أنا مشمول بمنة من ... منه في الخلق مبذول
أنا مغبوط بزورة من ... ربه بالجود مأهول
ثم أوماً إليه الحسن ان قم، فنهض وهو يقول:
ملك عز النظر له ... زانه الغرّ البهاليل
طاهري في مواكيه ... عرفة في الناس مبذول
دم من يشقى بصارمه ... مع هبوب الريح مطلول
فلما خرج قال محمد: ليست خسارة المرء باتضاع حاله، ولا ينبو العين عن ناظره، بل يهذه جوهره الذي
الأدب مركب فيه. وما أخطأ صالح ابن عبد القدوس حيث يقول:
لا يعجبك من يصون ثيابه ... حذر الغيار وعرضه مبذول
ولربما افتقر الفتى فرأيته ... دنس الثياب وعرضه مغسول
وأنشده أبو محمد بن الحسين الوضاحي لمان:
لما رأيت البدر في ... أفق السماء قد استقلا
ورأيت قرن الشمس في ... أفق الغروب وقد تدلى
شبهت ذلك وهذه ... فأرى شبيههما أجلا
وجه الحبيب إذا بدا ... وقف الحبيب إذا تولى

رزام المجنون

قال علي بن عبد الملك: كان بطرسوس مجنون اسمه رزام. وكان إذا خرج المعسكر خرج مع الناس وأخذ
سيفاً ودرقة، ولا يزال يلقي أعداء الدين، فإذا حصل في الحرب زال عنه جنونه، فإذا انقضى القتال، فعاد
إلى البلد، رجع إلى جنونه.

مجانين الاعراب

جساس الموسوس

قال الأصمعي: قال عمي: دخلت بعض أحياء العرب فرأيت شيخاً موسوساً يهذي، وقد اجتمع إليه الناس.
فقلت من هذا؟ فقالوا جساس الموسوس لا يزال ينام ليله ونهاره، وربما ينتبه فرعاً مرعوباً فيجلس ساعة، ثم

يضح ويهيم على وجهه، ثم يعود إلى نومه. فبت ليلةً هناك، وهو على الحال الذي وصفوه، فلما أصبحنا أتيتيه. فقلت ما اسمك يا شيخ؟ أنت أنوم من فهد. مالك تنام دهرك؟ فقال النوم لا تبعه علي فيه، وفي مجالستك ومجالسة أضرابك تبعات. قلت وأي تبعه عليك في مجالستي؟ قال اشتغل بك عمن أنشأني، ثم أنشأ يقول:

لقد أغنيت عن هذا السؤال ... وعما أنت فيه من المقال
فإن كنت الغداة تريد قولاً ... فما فيه رضى مولى الموالي
ثم عدا هائماً على وجهه في تلك الرمال قائلاً: ما أكثر فضول أهل الحضر !.

أوفى البدوي

قال المدايني: كان بمكة مجنون يقال له أوفى البدوي من مجانين الاعراب وكان يصلي الليل كله، فإذا أحس بالصبح رمى بطرفه إلى السماء وأنشأ يقول:
ربّ مكحول بمحلول الأرق ... قلبه وقف بنيران الحرق
فكره في الله في أوقاته ... وبه يفتح فاه ان نطق

مجنون من بني سعد

قال الأصمعي: بينما أنا قاعد عند محمد بن سليمان الهاشمي والي البصرة إذ دخل عليه رجل فقال أصلح الله الأمير إن بالمريد أعرابياً مجنوناً من بني سعد لا يتكلم إلا بالشعر، فقال علي به، فأُتي به، فلما نظر الأعرابي إليه أنشأ يقول:

حياك ربّ النلس من أمير ... يا فاضل الأصل عظيم الخير
فقال محمد: وأنت فحياك الله يا أبا بني سعد، فقال الأعرابي:
إني أتاني الفارس الجلواز ... والقلب قد طار به اهتزاز
فقال الأمير إنما بعثنا إليك لنشتري ناقك، فقال الأعرابي:
ما قال شيئاً في شراء الناقة ... وقد أتى بالجهل والحماقة
قال الأمير وما الذي أتى؟ فقال:
قد شق سربالي وشق بردتي ... وكان زيني في الملا ومجدي
فقال الأمير إذا نخلع عليك، فقال الأعرابي:
نعمك الله وأرخصي بالك ... وأكثر الله لنا أمثالك
فقال الأمير بكم اشتريتها؟ فقال:
شراؤها عشر بطن مكة ... من الدنانير القيام السكة
ولن أبيع الدهر أو أزداد ... إني لربح في الشرا معتاد

قال الأمير فيكم آخذها ؟ فقال:
خذها بعشرٍ وبخمسٍ وازنه ... فإنها ناقة صدق مازنة
فقال الأمير بل تحط وتحسن فقال:
سبحان ربي ذو الجلال العالي ... تسأل احساني وأنت الوالي
قال الأمير فنأخذها منك ولا نعطيك شيئاً فقال:
فأين ربي ذو الجلال الأفضّل ... إن أنت لم تحش الآله فافعل
فقال الأمير إني أسألك أن تحط. فقال الأعراي:
والله ما يجبرني ما تعطي ... لا يداني الفقر مني حطي
فأمر له بألف درهم وثياب من خاصة ملبسه. فقال الأعراي.
إني رميتي نحوك الفجاج ... أبو عيال معلم محتاج
طاوي المطي مع ضيق العيش ... فأنتب الله لديك ريشي
شرفتي منك بألف حاضرة ... شرفك الله بها في الآخرة
وكسوة طاهرة حسان ... كساك ربي حلل الجنان
قال فضحك الأمير وقال من زعم إن هذا مجنون ؟ وددت إني كنت مثله.

أعراي

قال العباس بن علي الهاشمي كنت والياً بمكة فجلست ذات يوم في مسجد وعندي جماعة، فوقف بنا إعرابي
وقال أيكم الأمير ؟ فأشير إلي. فقال:
يا من ترفع بالإمارة طاغياً ... إخفض عليك فللأمور زوال
فلئن أفادك ذا الزمان بصرفه ... فبصرفه تتقلب الأحوال

أبو الشريك

قال الأصمعي بينا أنا ذات يوم عند والي البصرة إذ قيل مجنون بالباب يتكلم بالشعر. فقال أدخلوه فدخل،
فإذا هو رجل كأنه نخلة سحوق، نتن الأطراف موسوس، فسلم على الأمير، فرد عليه السلام وقال من أنت
؟ فقال:

إني أنا أبو الشريك الشاعر ... من سأل عني فأنا ابن الفاجر
فقال الوالي ما أمدحك لنفسك ! فقال:
لأنني أرتجل ارتجالاً ... ما شئت يا من ألبس الجمالا
قال الأصمعي فقال لي الأمير ما هذا مجنون. فألق عليه ما عندك فقلت له ما الريم ؟ فقال:
الريم فضل اللحم للجزار ... ينحره للفتية الأيسار

فقلت ما الحلوان ؟ فقال .

أليس ما يعطي على الكهانة ... والحر لا يقنع بالمهانة

فقلت ما الدكاع ؟ فقال:

إن الدكاع هو سعال الماشية ... والله لا تخفي عليه خافية

قلت فما التوله ؟ فقال:

عوذة عنق الطفل عندي توله ... وقد تسمى العنكبوت توله

قلت فما الرفة ؟ فقال.

الرفّة التبن فسل ماشيتنا ... لقد وجدت عالماً خرّيتنا

قال الأصمعي فاستحييت من كثرة ما سألته. فقال قل لي:

ما الهلقس والسحساح ... والحمل الراوح لا يراح

قلت الهلقس الطمع للحريص، والسحساح الذي لا يستقر في موضع والراوح المهزول فقال:

ما أنت إلا حافظ للعلم ... أحسنت ما قلت بغير فهم

فقال الوالي فحبذا كل مجنون مثل هذا. ثم أمر له بعشرة آلاف درهم، فلما قدم إليه المال قال.

أكلّ هذا هو لي بمرّه ... تم سروري واعترتني مسره

ثم أقبل على الأمير فقال.

رشت جناحي يا أبا قريش ... أقررت عيني وأطبت عيشي

هبنقة

قال عبد العزيز بن سعيد السيرا في قال لي أبي قد أنشد رجل هبنقة:

إهجر محلّ السوء لا تلمّ به ... وإذا نياك منزل فبحول

فقال هذا أحق بيت قالته العرب، وكيف يطيق أهل السجن النقلة ؟ هلا قال:

إذا كنت في دار يهينك أهلها ... ولم تك مكبولاً بها فبحول

جارية سوداء

قال بلال بن جماعة فكرت ذات ليلة فقلت يا رب من زوجتي في الجنة ؟ فأريت في منامي ثلاث ليال إنها جارية سوداء في أوطاس. فأتيت أوطاس فسألت عن الجارية فقال لي رجل يا هذا ! تسأل عن جارية سوداء مجنونة كانت لي فأعتقتها ؟ قلت وكيف كان جنونها ؟ قال كانت تصوم النهار، فأعطيناها فطورها فتصدقت به، وكانت لا تمداً بالليل ولا تنام، فضجرنا منها. قلت فأين هي ؟ قال ترعى غنماً للقوم في الصحراء، فإذا أنا بها قائمة تصلي، فظرت إلى الغنم فإذا ذئب يدها على المرعى وذئب يسوقها ! فلما فرغت من صلاحها،

سلمت عليها فقالت يا بلال ! أنت زوجي في الجنة. قلت قد رأيت ذلك في النوم. قالت وأنا بشرت بك. فقلت ما هذه الذئاب مع الأغنام ؟ قالت نعم أصلحت شأني بيني وبينه، فأصلح بين الذئب والغنم !

عوسجة

قال محمد بن المبارك الصوري خرجت حاجاً، فإذا أنا بجارية سوداء يقال لها عوسجة بلا عطاء ولا وطاء. فسلمت عليها فردت السلام. ثم قالت أنت يا ابن المبارك على بطالتك بعد ؟ قلت لها وكيف عرفني ؟ فقالت أضاءت مصابيح الآمال، في قلوب العمال. فتورت جوارحي بنور الصفاء، فعرفتك بمعرفة من على العرش استوى. قلت وما الصفا ؟ قالت ترك أخلاق الجفأ. قلت لها من أين جئت قالت من عنده. قلت وإلى أين تريدان ؟ قالت إليه. قلت بلا زاد ولا راحلة. قالت يا أعمى ! أسألك عن مسألة، لو أتى أحدكم واستزار خاله إلى منزله أيجمل أن يحمل معه زاداً ؟ ثم أنشأت:

ارض بالله صاحباً ... وذر الناس جانباً
صافه الودّ شاهداً ... كت أو كت غائباً
لا تودّن غيره ... ذا رفيقاً مصاحباً

قال صالح بن إسماعيل سمعت عوسجة وهي تطوف بالبيت الشريف تقول:
سراير كتمان ييوح بها الهوى ... واطهار وعد ما يراد سواه
قال عبد الرحمن الواسطي سمعت عوسجة ذات ليلة تقول:
جعل الظلام مطيةً لقيامه ... لينال وصلماً ما يريد سواه

ريحانة

قال إبراهيم بن الأدهم رحمه الله ذكرت لي ريحانة فخرجت إلى الأيلة، فإذا أنا بجارية سوداء قد أثر البكاء في خديها خطأ، فذاكرتها شيئاً من أمر الآخرة. فأنشأت تقول:
من كان راكب يوم ليس يأمنه ... وليله تائهاً في عقب دنياه
فكيف يلتذ عيشاً لا يطيب له ... وكيف تعرف عين الغمض عيناه
وأنشأت أيضاً.

صبرت عن اللذات حتى تولت ... وألذمت نفسي صبرها فاستمرت
وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى ... فإن أطعمت تاقت وإلا تسلت
ولها أيضاً:

وما عاشق الدنيا بناج من الردى ... ولا خارج منها بغير غليل
فكم ملك قد صفر الموت بيته ... وأخرج من ظلّ عليه ظليل
ولها أيضاً:

حسب الخب من الحبيب بعلمه ... إن الخبّ ببابه مطروح
والقلب فيه أن تنفس في الدجى ... بسهام لوعات الهوى مجروح
وأنشدت أيضاً:

بوجهك لا تعذبني فإني ... أؤمل أن أفوز بخير دار
منجدة مزخرقة العلامي ... بما المأوى ونعم هي القرار
وأنت مجاور الأبرار فيها ... ولولا أنت ما طاب المزار
وأنشدت أيضاً:

اجعل لنفسك في الليالي نبهة ... تنبهك من خلل المنام قيام
وأنس إلى طول القيام مخلدا ... واترك لذاذ النوم والأحلام
وأيضاً:

تعوّد سهر الليل ... فإن النوم خسران
ولا تركز إلى الذنب ... فإن الذنب نيران
فكن للوحي درّاساً ... وللقراء أحيان
إذا ما الليل فاجاهم ... فهم في الليل رهبان
يميلون كما مال ... من الأرياح أغصان
وأيضاً:

أرى الدنيا لمن هي في يديه ... عذاباً كلما كبرت لديه
تخبين المكرمات بما بصغر ... وتكرم كل من هانت عليه
إذا استغيت عن شيء فدعه ... وخذ ما كنت محتاجاً إليه

آسية

قال إبراهيم ذكرت آسية لعبد الله بن طاهر، فدعى بها، فأدخلت عليه، فلزمت الصمت خمسة أيام. فقال لها
عبد الله أحرصاء أنت، مالك لا تنطقين؟ قالت ولكني أقول:
قالوا نراك طويل الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عيٍّ ومن خرس
الصمت أحمد في الحالين عاقبةً ... عندي وأحسن بي من منطق شكس
قالوا وأنت مصيب لسلت ذا خطاً ... فقلت هاتوا أروني وجه معتبس
أأنشر البر فيمن ليس يعرفه ... أم أنثر الدرّ بين العمى في الغلس

حيونة

قال راشد بن علقمة الأهوازي كانت حيونة إذا جنبها الليل تقول في دعائها: يا واحدي تمنعني بالليل
التلاوة، ثم تقطعني عنك بك في ضياء النهار. إلهي ! وددت أن النهار ليل حتى أتمتع بقربك.
قال سلام الأسود طلعت عليها الشمس يوماً فأذتما فقالت:
إن كنت تعلم أنني بك واله ... فأصرف سموم الشمس عني سيدي
قال فغمت السماء في الوقت.

قال سلام صامت حيونة حتى اسودت، فعوتبت في ذلك فرفعت طرفها إلى السماء وقالت قد لامي خلقك
في خدمتك فوعزتك وجلالك لأخدمك حتى لا يبقى لي عصب ولا قصب. ثم أنشأت تقول.
يا ذا الذي وعد الرضى لحبيبه ... أنت الذي ما أن سواك أريد
قال سلام الأسود نظرت إليها في يوم شديد الحر، فقالت اسكت عند المبلغ تفرح الواردون، وعند العرض
تنقطع الأسباب، وعند قوله خذوه تنشر أعلام العارفين.

زارت رابعة حيونة فلما كان جوف الليل حمل النوم على رابعة. فقامت إليها حيونة فركلتها برجلها وهي
تقول قومي قد جاء عرس المهتدين. يا من زين عرائس الليل بنور التهجد.
قال سلام وهدت حيونة يوماً على عبد الواحد ثم نادى يا متكلم تكلم عن نفسك، والله لو مت ما تبع
جنازتك. قال ولم؟ قالت تتكلم على الخليفة وتتقرب لهم! ما شبهتك إلا بمعلم صبي علمه أن يحفظ بالعشي
فإذا بكر من بيت أمه نسي. فيحتاج المعلم إلى ضربه. اذهب يا عبد الواحد! إضرب نفسك بدرة الأدب،
وتزود زاد القناعة، واجعل حظك مما أنت فيه الكلام على نفسك، ثم تكلم على الخليفة. قال سلام فلقد
عرق عبد الواحد وأقام ما يتكلم على الناس سنة. وأنشدت.

وليس للميت في قبره ... فطر ولا أضحي ولا عشر
بان من الأهل على قبره ... كذلك من مسكنه القبر
قال سلام سمعت حيونة تقول: من أحب الله أنس ومن أنس طرب. ومن طرب استاق. ومن استاق وله.
ومن وله خدم. ومن خدم وصل. ومن وصل اتصل. ومن اتصل عرف. ومن عرف قرب. ومن قرب لم
يرقد. وتسورت عليه بوارق الأحزان. وكانت تقول اللهم هب لي سكون قلبي بعقد الثقة بك. واجعل جميع
خواطري واثقة برضاك. ولا تجعل حظي الحرمان منك. يا أمل الآملين! قال إبراهيم زارت ريحانة حيونة
فلما جن الليل جاء المطر والريح الشديد، ففرعت ريحانة، فضحكت حيونة وقالت لها يا مدبرة العمل. لو
علمت أن في قلبي حبة غيره أو خوف سواه لوجأته بالسكين.

سلمونة

قال سهل بن سعد: كانت عندنا بعبادان امرأة مجنونة اسمها سلمونة. وكانت تغيب شخصها بالنهار فلا
ترى، فإذا كان الليل سعدت السطح وجعلت تنادي إلى الصباح سيدي ومولاي جنبتي عن عقلي،
وأوحشتني عن خلقك وأنستني بذكرك، وقد نفيت عن خلقك، فوا أسفاه إن نفيت عنك.

ميمونة

قال إبراهيم بن الأدهم رأيت في المنام كأن قاتلاً يقول: إن ميمونة السوداء زوجتك في الجنة. قال فكنت أطلبها حتى وجدت أثرها بمحص. فطلبتها فقيل إنها مجنونة لا تألف أحداً. قلت فأين هي؟ قيل دفعنا إليها أغناماً ترعاها في الجبانة. فخرجت إلى الجبانة فإذا هي قائمة تصلي، والشاة والذئب في مكان واحد فوقفت متعجباً، فلما قضت الصلاة قالت يا إبراهيم! الموعد في الجنة لا هنا. فعجبت من فطنتها فقلت يا سبحان الله! ألسنت مؤتمنة على هذه الأغنام؟ قالت بلى. قلت فلم عطلتها حتى توسطتها الذئب؟ قالت سلمتها إلى منشئها. ثم قالت: ارتفعت الحشمة بيني وبين من أنا قائمة بين يديه. فهو الذي رفع الوحشة بين الشاة والذئب ثم ولت وأنشأت تقول:

قلوب العارفين لها عيون ... ترى ما لا يراه الناظرون
والسنة بسرّ قد تناجي ... تغيب عن الكرام الكاتبين
وأجنحة تطير بغير ريش ... إلى ملكوت رب العالمين
فتسقيها أشراب الصلوق صرفاً ... وتشرب من كؤوس العارفين

بجة

قال إسماعيل بن سملة بن كهل: كانت لي أخت أسن مني فذهب عقلها فكانت في غرفة في أقصى السطح. فمكثت بضع عشرة سنة وكانت مع ذلك تحرص على الطهور والصلاة وتفقد الأوقات، وربما إذا غلبت على عقلها أياماً فتحفظ ذلك حتى تقضيه. فبينما أنا ذات ليلة إذا باب بيتي يدق نصف الليل، فقلت من هذا؟ قالت بجة. فقلت أختي، قالت أختك. قلت لبيك وقمت وفتحت الباب فدخلت ولا عهد لها بالبيت من أكثر من عشرين سنة، فقلت لها يا أختاه خير. فقالت رأيت الليلة في منامي فقيل لي السلام عليك يا بجة فرددت فقيل لي إن الله قد غفر لجدك وحفظك بأبيك إسماعيل فإن شئت دعوت الله فأذهب ما بك، وإن شئت صبرت ولك الجنة. فإن أبا بكر وعمر قد شفعا لك إلى الله بحبك أبيك وجدك وحبكم إياهما. قالت فقلت إن كان لا بد من اختيار أحدهما، فالصبر على ما أنا فيه، والجنة. وإن الله تعالى لو اسع خلقه لا يتعاضمه شيء إن شاء جمعهما. قيل فقد جمعتهما لك، رضي عن أبيك وجدك بجهما أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقومي وانزي. قال فأذهب الله ما كان بها وعادت إلى أحسن الحالات. وكانت إذا حضر إليها طبيب تقول: خلوا بيني وبين طبيبي أشكو إليه بعض ما أجد من بلاتي فلعله يكون عنده شفائي.

مجنونة

قال ذو النون: بينا أنا أسير في طريق إنطاكية إذا بجارية مجنونة عليها جبة صوف فقالت ألسنت ذا النون؟ قلت بلى، وكيف عرفتنني؟ قالت فتق الحب بين قلبي وقلبك فعرفتك، ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت تاق قلب أوليائه شوقاً إليه، فقلوبهم مربوطة بسلاسل الأونس ينظرون إليه بمعارف الأبواب، ثم قالت:

أسألك. قلت نعم. فقالت: أي شيء السخاء؟ قلت: البذل والعطاء. قالت هذا السخاء في الدنيا. فما السخاء في الدين؟ قلت المسارعة إلى طاعة الله. قالت: فإذا سارعت في طاعته ترجو منه شيئاً؟ قلت نعم، بالواحدة عشرة. قالت مه يا بطل! هذا في الدين قبيح وإنما المسارعة في الطاعة أن يطلع المولى على قلبك، وأنت لا تريد منه بديلاً، ثم قالت إني أريد أن أقسم عليه منذ عشرين سنة في طلب شهوة فاستحي منه مخافة أن أكون كأجير السوء يعمل للأجرة ولكنني أعمل تعظيماً لهيبته.

مجنون

قال إسحاق بن أحمد الخزاعي عن أبيه قال: قدم هارون الرشيد مدينة الرقة وبها دير يقال له دير. زكى فلما أقبلت المواكب أشرف أهل الدير ينظرون وفيهم مجنون مسلسل، فلما أقبل هارون رمى المجنون بنفسه فقال يا أمير المؤمنين قد قلت فيك ثلاثة أبيات فأنشدك، قال نعم. فقال:
لحظات طرفك في العدى ... تغنيك عن سلّ السيف
وعزيم رأيك في النهي ... يكفيك عاقبة الصروف
وسبول كهك في الندى ... بحر يفيض على الضعيف
ثم قال يا أمير المؤمنين! هات ثلاثة آلاف دينار أشترى بها كساءً وتمراً فقال الرشيد تدفع إليه ثلاثة آلاف دينار، فحملت إلى أهله وأخرج من الدير وكان من أهل الشرف.

شيخ مجنون

قال سوار بن عبد الله القاضي: دخلت بعض حمامات البصرة، فقلت لصاحب الحمام فيه أحد؟ قال لا، إلا شيخ موسوس. فدخلت فإذا شيخ فقلت يا شيخ! ما حرفتك! قال أنا أبيع الكعاب والدوامات من الصبيان فقلت في نفسي مع من وقعت. فقال لي الشيخ فما حرفتك؟ قلت لا أخبرك قال والله ما أنصفتني سألتني عن حرفتي فأخبرتكم، وسألتك عن حرفتك فلم تجبرني. فقلت أنا أنظر فيما بين الناس، وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك، قلت من لم يقبل حبسته وأدبته، قال ومنك ذلك قلت نعم إن معي أعواناً من السلطان. قال الشيخ: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به. قال سوار فتصاغرت إلي نفسي.

مجنون

قال محمد بن يعقوب الأزدي عن أبيه دخلت دير هرقل فوجدت فيه مجنوناً مكبلاً، فكلمته فوجدته أديباً. فقلت ما الذي غيرك إلى ما أرى؟ فقال:
نظرت إليها فاستحلت بنظرة ... دمي ودمي غالٍ فارخصه الحب
وغاليت في حبي لها ورأت دمي ... رخيصاً فمن هذين داخلها العجب
قال بعضهم لقيت بعض الجانين، فقلت له يوم غيم قال:

أرى اليوم يوماً قد تكاثف غيمه ... وأقنامه فالיום لا شكّ ماطر
وقد حجبت فيه السحاب شمسه ... كما حجبت ورد الحدود الحاجر

مجنون

قال الجاحظ: رأيت مجنوناً بالكوفة فقال لي من أنت؟ قلت عمرو بن بحر الجاحظ. قال يزعم أهل البصرة أنك أعلمهم. قلت إن ذلك لقال. قال من أشعر الناس؟ قلت امرئ القيس. قال حيث يقول ماذا؟ قلت: كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي
قال فأنا أشعر منه، قلت حيث تقول ماذا؟ قال حيث أقول:
كأن وراء الستر فوق فراشها ... قناديل زيت من ورام قرام
فأينا أشعر؟ قلت أنت. قال فأيهما أقوى الماء؟ قلت الريح. قال لم تصب. قلت وكيف؟ قال يقع الثوب في الماء فيبتل في طرفة عين، ويبسط في الريح فلا يجف إلا بعد ساعات، أصبت أم أخطأت؟ فقلت أصبت.

مجنون أسود

قال ذو النون: ركبت البحر ومعنا مجنون أسود ذاهب العقل فلما توسطنا البحر قال الملاح: زنوا الكراء، فوزنا حتى إذا بلغوا إليه فقالوا له زن فأنشأ يقول:
ليس القلوب تفوز أنس أنيسها ... فحيرت بين المحبة والهوى
قال الملاح: زن، قال بعثنا إلى الخازن ليزن لك، قال وأين الخازن؟ قال في البحر صيرفي خازن. قال ذو النون فيينا نحن في ذلك إذ هاج موج عظيم فخرجت منه سمكة فاغرة فاها مملوء فوها دنانير، فجاءت حتى وققت بقرب الأسود. فقال الأسود يا ملاح! خذها إليك وإيك أن تسرق فأخذ منها ديناراً، فلما خرجنا سألت عنه فقيل هذا مجنون لم يفطر منذ خمسين سنة لا يطعم في الشهر إلا مرة.
شاب

مجنون

قال المبرد: دخلت دار المرضى فإذا أنا بشاب مقيد إلى جدار. فقال لي من أنت وما حرفتك؟ فسكت. فنظر إلى الخبرة في يدي، فقال أمن أهل الحديث وحملة الآثار؟ أم أهل الأدب والنحو؟ قلت من أهل الأدب والنحو. قال من أصحاب من؟ قلت من أصحاب أبي عثمان المازني. قال فهل لك معرفة بصاحبه الذي قعد في مكانه؟ قلت إني به لعارف. قال ما سمعت في نسيه؟ قلت يقولون أنه من ثمالة الأزدي. قال أنه مطعون فيه. قلت لا. قال قد قال عبد الصمد فيه:
سألنا عن ثمالة كل حيّ ... فقال القائلون ومن ثماله
فقلت محمد بن يزيد منهم ... فقالوا: زدتنا بهم جهاله

ولد مجنون

قال معقل بن علي: كان عندنا بالمدينة رجل من ولد كثير بن الصلت حسن الوجه، نظيف الثياب، كثير المال، ملازماً لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم. فغلبت عليه المرة، فأحرقته فذهب عقله، فكان بعد ذلك يجلس في المزابل، فمررت به ذات يوم. فقلت له يا ابن كثير ! عز علي ما أرى بك. فقال الحمد لله الذي لم يجعلني ساخطاً لقضائه وقدره، يا أخا الأنصار روى أهل العراق أن عطاءً الخراساني كان يغازيهم في سبيل الله، فيقوم الليل حتى إذا انفجر الصبح نادى بأعلى صوته يا عبد الرحمن بن يزيد ! ويا هشام بن الغار ! قوماً فضلياً، فإن مكابدة هذا الليل الطويل، خير من مقطعات النيران والسلاسل والأغلال، النجاة النجاة يا أخا الأنصار ! فلعل ما أنا فيه بدل من النار.

مجنون

قال أبو القاسم الصوفي: دخلت البيمارستان بالبصرة فرأيت في الجانين من تفرست فيه فسلمت فرد علي، فقلت ما هذا المكان ؟ فقال رضي لي بهذا فلا يعارض فيما يريد، قلت: الذي يقول:

تعرف في الفكر إذا ... رحله الشوق رحل

وحيث ما كان إذا ... أثره الحب نزل

وهكذا أهل الهوى ... يلقون في الحب الخبل

مختبل معتبر ... يهيم في كل جبل

لو خطر الوهم به ... على التجني لا اعتدل

فتى مجنون

قال أحمد بن يحيى: كان ببغداد فتى يجن ستة أشهر ويفيق ستة أشهر كما كان، فاستقبلني يوماً في بعض السكك فقال ثعلب ! قلت نعم، قال فأنشدته:

وإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم هجان وكل طرف سابع

وانضح جوانب قبره بدمائها ... حتى تكون أخا دمٍ وذباح

فتضحك وسكت ساعة، ثم قال: ألا قال:

إذا هبا بي إن لم يكن لكما عقى ... ر إلى ترب قبره واعقراني

وانضح من دمي عليه فقد كا ... ن دمي من نداه لو تعلمان

ثم إني بعد ذلك رأيتني فتأملني، وقال ثعلب ! قلت نعم. قال أنشدني فأنشدته:

أعار الجود نائله ... إذا ما ماله نفدا

وإن أسد شكاً جيناً ... أعار فؤاده الأسدا

ثم ضحك. ثم قال: ألا قال:

علم الجود الندى حتى إذا ... ما حكاه علم البأس الأسد
فله الجود مقرّ بالندى ... وله الليث مقرّ بالجلد

رجل مجنون

قال أبو إسحاق الرملي: كان رجل يشير إلى الحقائق، ويلحقه الوجد مع كل لحظة ولقطة. فغلب على عقله، فلقيته في المقابر وهو ينشد:

قد ضل عقلي وذاب جسمي ... وصنت عهدي وختت عهدك
لو قلت للنار عذبيه ... إذا ابتلاني أخفرت وعذك
لصرت في قعرها أنادي ... إياك أبغي إياك وحدك

فتى مجنون

قال حيان بن علي التونسي: ركبت بحر الصين فوقع في جزيرة فدخلت بعض سككها فقيل لي احذر، فإن هناك فتى مجنوناً، فبينما أنا واقف إذ خرج علي فتى مدهوش، مرتدياً بأشجانته، مؤتزرأ بأحزانه، وهو يقول:
لك هطلت الآماق، ولك بكت الأحداق، وذكرك مشهور في الآفاق، يا من ينعم بحبه لأهل الأشفاق، يا من يداوي جراحات أهل الوجد والاحتراق، فسلمت عليه فرد علي، ثم أنشأ يقول:

وكن لربك ذا حب لتخدمه ... إن الحين للأحباب خدام
قوم يبيتون من وجد ومن قلق ... ومن محبته في الليل قوام
قد قطعوا الليل دهرأ في محبته ... ما أن تروهم بالليل نوام

مجنون

قال ابن جبلة الساوي: رأيت بالكوفة مجنوناً قد تمنطق بمنطقة عريضة عليها مكتوب:
حب ذي العرش سناء وشرف ... وهدايا وعطاء وتحف
فتهجد في دجى الليل له ... لترى منه أعاجيب اللطف

مجنون في دمشق

قال الحسن بن علي بن جعفر الخياط بالكوفة سمعت أبي يقول: رأيت مجنوناً في سوق دمشق وهو يقول:
يا غافلاً مقبلاً على أمله ... وجاهلاً والنساء في عمله
كم نظرة لامرئ يسرّ بها ... لعلها منه منتهى أجله

شاب مجنون

قال الحسن بن علي بن عبد الرحمن القناد قال: دخلت دار المرضى بالشام فرأيت شاباً مسلسلاً مغلولاً
مستوقراً فقال يا شيخ إن رويتك أبياتاً تحفظها؟ قلت نعم. قال:
يا نفس قومي بي فقد نام الورى ... ان تفعلي خيراً فذو العرش يرى
وأنت يا عين دعي عنك الكرى ... عند الصباح يحمد القوم السرى

رجل مدهوش

قال سهل بن علي الأنباري: اجتمع قوم إلى المنصور فقالوا له: يا أبا السري في جوارنا رجل مدهوش،
ذاهب العقل، لا ترى له صورة. فقال منصور: أوقهوني عليه، فأتوا به بابه ليلاً فلما غارت النجوم وهدأت
العيون سمعه يقول:

طال القيام لهجة النوم ... وتراك مطلماً لطول مقامي
يا سيدي ومؤملي وموتقي ... من أجل حبك قد هجرت منامي
فأجابه منصور:

يا ذا الذي هجر الرقاد لربه ... إبشر بدار تحية وسلام

يوم القدوم عليه في دار البقا ... يوم تزف إليه بالخدام

شيخ

قال محمد بن جعفر الطيب الخاقاني الطبرستاني دخلت دار المرضى ببغداد فإذا شيخ مقيد يبكي وقد خنقته
العبرة. فقلت له مالك؟ فأنشأ يقول:
من كان أذنب ذنباً ... فليدن مني قليلاً
لعلنا نتباكي ... على الذنوب طويلاً

مجنون

قال مهلهل بن علي العنزي: كان عندنا في عنزة مجنون يرمي ويضرب، فقلت له الآن ترمي وتشد فأنشأ
يقول:

ليس على قوتٍ فانتِ أسف ... ولا تراني عليه اليوم ألتهف
ما قدر الله لي فليس له ... عني إلى من سواي ينصرف
ومانع ما لديه قلت له ... لا ضير، في الله منك لي خلف

شيخ

قال بعضهم: دخلت دار المجانين وعلي شارة حسنة، وثياب فاخرة، فإذا شيخ مقيد مغلول، فجعلت أنظر إليه، فقال مه ! أتعجب مني ؟

أتعجب مني في قيودي وأغلالي ... وأنت رضي البال في العز والمال
فلا أنت تبقى بعد مال كسبته ... ولا أنا أبقى في قيودي وأغلالي

شاب

قال أبو الحسن العنسي المؤدب: دخلت الموصل فبينما أنا ذات يوم في أزقتها إذا صياح وجلبة، وإذا هي دار المجانين، فدخلت إليها فإذا شاب حسن شحط في الدم، فسلمت عليه فرد وقال من أين جئت ؟ قلت من بالس. قال وأين تريد ؟ قلت العراق، قال لي: أتعرف بني فلان ؟ وأشار إلى بيت قلت نعم. قال لا صنع الله لهم، فهم الذين أدهشوني وأحلوني هنا. قلت: وما فعلوا ؟ قال:

زَمُوا المطايا واستقلوا صحىً ... ولم يبالوا قلب من تيموا
ما ضرهم والله يرعاهم ... لو ودّعوا بالظرف أو سلّموا
ما زلت أذري الدمع في إثرهم ... حتى جرى من بعد دمعي دم
ما أنصفوني يوم قاموا ضحى ... ولم يفوا عهدي ولم يرحموا

شيخ مجنون

قال محمد بن عماد البغدادي: كان بجوار جنيد قلنس سره شيخ مجنون، فلما مات جنيد رحمه الله وقف الشيخ المجنون على تل، ثم أنشأ يقول:

واحسرتا من فراق قوم ... هم المصاييح والحصون
والمزن والمدن والرواسي ... والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالي ... حتى توفيهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

شاب مجنون

قال بعضهم: دخلت دار المجانين بالبصرة، فرأيت شاباً أحسن الناس وجهاً، وقد قيد وغل، وكنت رأيته في البزازين قبل ذلك صاحب نعمة. فقلت ما الذي دهاك ؟ فأنشأ يقول:

تمطى عليّ الدهر في متن قوسه ... ففرقنا منه بسهم شتات
فيا زمناً ولّى على رغم أهله ... ألا عد كما قد كنت منذ سنوات

غلام مجنون

قال الوليد بن عبد الرحمن السقاء برملة: بينا أنا ذات ليلة في منزلي، إذ طرق الباب طارق، فقلت من طرق الباب؟ فأنشأ يقول:

أنا الذي ألبسني سيدي ... لما تعريت لباس الوداد
فصرت لا آوي إلى مؤنس ... إلا إلى مالك رقّ العباد
فخرجت فإذا أنا بغلام ذاهب العقل، هائم مجنون مستوفز، فدخل الدار وقال: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، فعلمت أنه جائع، فقدمت إليه شيئاً فأكل وشرب، ثم وثب إلى الباب وأنشأ يقول:
عليك اتكالي لا على الناس كلهم ... وأنت بحالي عالم لا تعلم
وأقسمت أني كلما جعت سيدي ... سنفتح سنفتح لي باباً فأسقى وأطعم
قال الوليد السقاء: فقلت له توصيني بوصية فقال:

الزم الخوف مع الحزن ... وتقوى الله فأريح
وذو الدنيا مع الأخ ... رى فتقوى الله أرجح
فاجتهد في ظلمة اللي ... ل إذا ما الليل أجرح
واسأل الله ذنوبك ... فعمل الله يصفح

رجل

قال مالك بن دينار: مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون رجلاً بالحجارة ويقولون: هو يزعم إنه يرى ربه على الدوام. قال فزجرت عنه الصبيان، وقلت له: ما الذي يزعم هؤلاء؟ قال وما يزعمون؟ قلت يزعمون أنك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله! ما فقدته لما أطعته. ثم أنشأ يقول:

على بعدك لا يصبر ... من عادته القرب
ولا يقوى على هجرك ... من تيممه الحب
لئن لم ترك العين ... فقد أبصرك القلب
ولبعض المجانين: احنروا الأقارب فإنهم العقارب، ثم قال: وأخبت العقارب، أقرب الأقارب. فربما لم يصدر عن العقلاء، ما صدر عن المجانين.

ولبعض المجانين:

تلذ الناس إن عمروا وعاشوا ... ومالي لذة في طول عمري
وما يغني الجمال وحسن ثوبي ... إذا ما كنت أصرع كل شهر
بقيتي قد تلتطخ حسن وجهي ... أبوك في الثياب ولست أدري
فليت الله عاجلني بموت ... ليكنتم سوء حالي تحت قبوري
لآخر، وقد بال في قميصه، والناس يبكون عليه ويقولون ما حالك؟ فقال:
أبكي الناظرون لسوء حالي ... ولا يبكون عاقبة الليالي

وكم وجه جميل صار مثلي ... ولم يك مثل ذلك في مثال
إذا عوفيت يا هذا فشكراً ... وعد مما ترى من سوء حالي

شيخ مجنون

قال ذو النون المصري: رأيت شيخاً مجنوناً وعليه جبة صوف مكتوب عليها من ورائه:
حتى متى يا شيخ ما تستحي ... يراك مولاك مع الغافلين
ما تستحي منه وما ترعوي ... غطي خطاياك عن العالمين
نشاك بين الخلق في منزله ... وأنت معكوف مع الفاسقين
وعلى كفه الأيسر مكتوب مؤخرًا:
إن الله عبادة ... كشفوا فيه القناعا
هل رأيتم خادماً عا ... مل مولاه فضاعا
وعلى كفه الأيمن مكتوب مقدماً:
عجبت لمن ينام وذو المعالي ... ينادي يا عباد أنا البذول
وهل يجد الخلاق مثل ربي ... وكل فعالة حسن جميل
تتمة الكم الأيسر:
سوف أرويكم حديثاً ... قد سمعناه سماعاً
من دني من ربه شب ... رأ دننا منه ذراعاً

شاب مجنون

قال عبد الله بن عبد العزيز السامري: مررت بدير هرقل أنا وصديق لي. فقال لي: أدخل بنا لنرى من ملح
الجانين، فقلت ذلك إليك. فدخلنا وإذا بشاب مليح الوجه، حسن الزي، قد أرجل شعره، وكحل عينيه،
طراوة يعلوه حلاوة، مشدود إلى سلسلة بجانب حائط. فلما بصر بنا قال: مرحباً بالوفد قرب الله ما نأى
منكما، بأبي أنتما. قلنا: وأنت فأمتع الله الخاصة والعامّة بقربك وآنس جماعة ذوي المروعة بشخصك،
وجعلنا وسائر من يحبك فداءك. فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاءكما، وتولى عني مكافأتمكنا. قلنا: فما
تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهل؟ فقال:
الله يعلم انني كمد ... لا أستطيع أث ما أجد
نفسان لي نفس تضمنها ... بلد وأخرى حازها بلد
أما المقيمة ليس بنفعها ... صبر وليس يقرها جلد
وأظن غائبي كشاهديتي ... وكأنها تجد الذي أجد
ثم التفت إلينا فقال: هل أحسنت؟ قلنا له نعم ما قصرت وولينا. فقال بأبي أنتما ما أسرع ذهابكما بالله

اعيراني افهامكما واذهانكما قلنا هات فقال:
لما أناخوا قبيل الصبح غيرهم ... ورحلوها فسارت بالهوى الإبل
وقلبت من خلال السجف ناظرها ... ترنوا إلي ودمع العين منهمل
وودّعت ببنان عقده غم ... ناديت لا حملت رجلاك يا جمل
ويلي من الين ماذا حل بي وبها ... يا نازح الدار خلّ الين وارتحلوا
يا راحل العيس عرّج كي اودعهم ... يا راحل العيس في ترحالك الأجل
إني على العهد لم انقض مودّتهم ... يا ليت شعري بطول العهد ما فعلوا

فقلنا مجنوناً منا ولم نعلم بحقيقة ما وصف ماتوا. قال أقسمت عليكم ماتوا؟ ثم قال إني والله ميت في أثرهم.
ثم جذب نفسه في السلسلة جذبة دلح منها لسانه، وبرزت عيناه، وانبعثت شفتاه بالدماء، فتلبط ساعة، ثم
مات. فلا ننسى ندامتنا على ما صنعنا به.

أديب عاشق

قال الريان بن علي الأديب: عشق فتى من أولاد بعض أصدقائي جارية لبعض الأشراف. فأحلله العشق
وأضناه، وتيممه وأتلفه. فمررت به يوماً في بعض الخرابات، فقلت له كيف حالك؟ فقال أسوء حال. عقل
هائم، وغم لازم، وفكر دائم. ثم أنشأ يقول:
تيمني حبّها وأضناني ... وفي بحار الهموم ألقاني
كيف احتيالي وليس لي جلد ... في دفع ما بي وكشف أحزاني
يا رب فاعطف بقلبك فاعسى ... ترحم ضعفي وطول أشجاني

فتى مجنون

قال سهلان القاضي: بينما أنا سائر في بعض الطرقات إذ مررت بفتى مجنون وبين يديه خلقان فقال لي أين
رأيت القافلة؟ قلت في موضع كذا. قال آه من البين، آه من دواعي الحين. فقلت وما دهاك؟ فقال:
شيعتهم من حيث لم يعلموا ... ورحت وأقلب بهم مغرم
سألتهم تسليمةً منهم ... عليّ إذ بانوا فما سلموا
ساروا ولم يرنوا لمستهتر ... ولم يبالوا قلب من تيموا
واستحسنوا ظلمي فمن أجلهم ... أحبّ قلبي كل من يظلم

مجنون

قال علي بن عبد الرحمن القناد: وصف لي مجنون بمصر ذو بديهة، فطلبتة حتى ظفرت به، فكلمته فيكم ملياً، ولم يرد علي جواباً، ثم نظرت إلى فروته فإذا عليها مكتوب:
عشرون ألف فتى ما منهم رجلٍ ... إلا كآلف فتى مقدامة بطل
أضحت مزادهم مملووة أملاً ... ففرغوها وأوكوها على الأجل

شيخ مجنون

قال أبو الهذيل العلاف: رحلت من البصرة أريد العسكر فمررت بدير هرقل فقلت لأدخلن هذا الدير لأرى ما فيه، فإذا شيخ حسن اللحية في السلسلة فأدمت النظر إليه، فلما رأي لا أرد بصري عنه قال لي معترلي أنت؟ قلت نعم. قال إمامي؟ قلت نعم. قال تقول القرآن مخلوق؟ قلت نعم. قال كن أبا الهذيل العلاف قلت أنا أبو الهذيل. قال أسألك؟ قلت: سل. قال أخبرني عن الرسول صلى الله عليه وسلم أليس هو أمين في السماء وفي الأرض؟ قلت بلى. قال أخبرني عنه هل به خلة ميل أو حيف أو هوى؟ قلت لا. قال فأخبرني عن رأيه أليس هو الذي لا يدخله زلل وشبهة، وهو المعصوم من الشبهة والريبة قلت بلى. قال فأخبرني عن من هو دونه من الخلق. أليس يدخلهم في رأيهم الفساد والغفلة والهوى وانهم أصداد في كل شيء وإن كانوا أحياناً. قلت بلى. قال فالأي علة لم يقيم لهم علماً ينصبه بقوله هذا خليفتمكم بعدي فلا تقتتلوا. لمن يفعل هذا الا لا يكون الاختلاف والفساد في أمته؟ قلت معاذ الله أن يكون ذلك. قال فلم تركهم وألجأهم إلى رأي من دونه في الصفة، إذ لم يجب الاختلاف والتشتت؟ فسكت لم أدر ما أقول له. فقال مالك لا تحيب الا تحسن؟ ثم تركته وخرجت! فلما رأي مولياً ناداني الشيخ ارجع إلينا، فرجعت إليه. فقال أحسبك تريد الخليفة قلت نعم. قال الا أن تصير إلى الخليفة إقضي لي حاجتي. فقلت وما هي؟ قال تكلم هذه الفاعلة امرأة صاحب الدير تطلقني، فكلمتها فقالت عليه في هذا ضرر، فلما رآها غير مجيبة قال فسألها أن تستوطني، فسألته فأجابته، فانصرفت عنه متعجباً. فلما صرت إلى سر من رأى ودخلت على الواثق قال لي ما كان حالك في سفرك؟ قلت أعجوبة يا أمير المؤمنين! لم أسمع بمثله. فقال وما هي؟ فقصصت عليه حديث الجنون، فقال يحضر الجنون، فأحضر وأصلح من شأنه وأدخل عليه، فلما رأي قال حاجتنا. قلت نعم. قال الواثق لمحمد بن مكحول كلمة. فقال الجنون يا أمير المؤمنين! هذا ليس يحسن شيئاً، فإن كان عندك من يحسن. قال الواثق فاسأل فإن المجلس مشترك، فمن كان يحسن أجابك. فاسأل عن المسألة المذكورة فأحجم القوم عن الجواب، فالنتفت إليه الواثق فقال ليس ههنا من يجب فأجب. فقال سخين العين آكون سائلاً، ومجيباً في وقت! فقال الواثق وما عليك أن تعلمنا. قال أما إذا كان كذا، فنعم ان الله سبحانه حكم فحكم في خلقه ولم يكن بد من تعبدهم وكان الاختلاف بينهم حكمة في خلقه، إذ قد كان حكم عليهم بذلك الاختلاف قبل خلقهم فأحجم، ثم قام الواثق ليدخل الدار. فقال الجنون: يا ابن الفاعلة أخذت منفعنا وفررت! فأمر بالاحسان إليه.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: الدنيا دار المرضى، والناس فيها مرضى، وللمجانين في دار المرضى شيطان: غل وقيد. ولنا غل الهوى، وقيد المعصية.

رجل

قال الأصمعي: ركب جعفر بن سليمان أمير البصرة في زي عجيب من اللباس والغلمان والدواب والصقور والفهود، وكان عندنا رجل بالبصرة يتفقه، وكان في حادثة سنة يجالس العباد، فغلب على عقله، فخرج في طريق جعفر فلما أبصره وقف وقال يا جعفر بن سليمان ! أنظر أي رجل تكون إذا خرجت من قبرك وحدك، وحملت على الصراط وحدك، وقدم إليك كتابك وحدك، ولم يغن عنك من الله شيئاً. يا جعفر إنك تموت وحدك. وتقف بين يدي الله وحدك، وتدخل قبرك وحدك، ويحاسبك الله وحدك، فانظر لنفسك، قد نصحت لك. فرجع جعفر من نزهة تلك، وسأل عن الرجل فقيل له مغلوب على أمره.

معتوه

قال ضمرة بن ربيعة: وقف علي معتوه فحنقني وقال تعلم. قلت خلص عن حلقي. فخلني ثم قال: الشر نذالة، والغو كرم، والاستقصاء غم، وشفاء الغيظ بلية.

مجنون

قال محمد بن بيان: مررت وإذا جماعة على مجنون وقوف، فوقفت فهش إلي وقال: إسقني قبل تباريح العطش ... ان يومي يوم طس بعد رش حبّ من أشواهم أدهشني ... لا خلوت الدهر من ذاك الدهش

شاب مجنون

قال ثمامة بن أشرس: دخلت دير هرقل فرأيت فيه شاباً مشدوداً إلى سارية. فقال لي ما اسمك؟ قلت ثمامة، قال المتكلم؟ قلت نعم. قال يا ثمامة ! هل للنوم لذة؟ قلت نعم. قال متى يجدها صاحبها؟ إن قلت قبل النوم أجلت، وإن قلت مع النوم أخطأت، لأنه ذاهب العقل. وإن قلت بعد النوم أخطأت لأنه قد انقضى. قلت وما تقول أنت؟ قال إن النعس داء يجلب بالبدن ودواؤه النوم.

شاب

دخل الأمير سعيد مع وزيره دار المرضى فإذا شاب مسلسل، فلما رأى الأمير قال له أيها الأمير ! هذا وزيرك؟ قال نعم. قال يزعم إنه أقل الناس فإن سألته مسألة. قال سله. قال ما أكثر الأشياء؟ قال ذوات الأربع قال ليس كذلك. قال فما هو؟ قال لا أقول حتى تقول بالعجز. قال قد أقررت. قال أكثر الأشياء المموم. قال ملم؟ قال لأن نصيبي منها أوفر الأنصباء. قال الأمير سل حاجتك. قال مسكة عقل أعيش به وأنجو من هذا القيد. قال ليس ذلك إلي. قال فلا حاجة لي في سواه.

شيخ

قال جنيد البغدادي رحمه الله: دخلت دار المرضى بمصر فرأيت شيخاً فقال لي ما اسمك؟ قلت جنيد. قال عراقي. قلت نعم. قال ومن أهل المحبة؟ قلت نعم. قال فما الحب؟ قلت إيثار المحبوب على ما سواه. فقال الحب حبان حب لعله، وحب لغير علة. فأما الذي لعله فرؤية الاحسان. وأما الذي لغير علة فالأنه أهل لأن يحب. ثم أنشد:

أحبك حين حبّ الهوى ... وحباً لأنك أهل لذاكا
وأما الذي هو حب الهوى ... فحبّ شغلت به عن سواكا
فأما الذي أنت أهل له ... فلست أرى العيش حتى أراكا
وما الذي فلا عيش لي ... ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

شيخ مجنون

قال أبو غسان الاسماعيلي: دخلت البصرة فرأيت شيخاً مجنوناً قد غلت يدها، وأحدث به الناس، فرحمته وأزحت الناس عنه، فتنفس الصعداء واستعبر ثم قال:

لقد صبرت على المكروه أسمعته ... من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت أقواماً أجملهم ... ولولاك ما كنت أدري أنهم خلقوا
الحمد لله حمداً لا شريك له ... كأني بدعة من بين من عشقوا

مجنون

قال بعض السياح: دخلت مسجد البصرة فإذا فقير عليه أثر البؤس وهو يترنم في نفسه، فإذا هو مجنون، فلما دنوت منه سكت. فقلت له أعد ما كنت تقول؟ فقال ارتجالاً:

أشار قلبي إليك كيما ... يرى الذي لا تراه عيني
وأنت تلقي على ضميري ... حلاوة الوُل والتمني
تريد مني اختبار سري ... وقد علمت المراد مني
وليس لي في سواك حظ ... فكيفما شئت فاخبريني
روى أحمد بن عمران السوادي لبعض الجانين:
ولست بهوَال لذي الزاد أبقه ... فإنك إن لم تبق زادك ينفد
ولا ناظر في وجهه ثم قائل ... الا لا تصاحبنا إذا لم تروّد

رجل

قال عمر بن عثمان الصوفي: دخلت جبال الشام وإذا أنا برجل في كوخ، فأقمت عليه يوماً وليلة لم أسمع كلاماً، فخرج من كوخه فرفع طرفه إلى السماء وقال: إلهي ! شهد قلبي لك في النوازل بسعة روح الفضل، وكيف لا يشهد لك قلبي بذلك أفأحسب أن يآلف قلبي غيرك؟ هيهات ! لقد خاب لديك المقصرون. ثم قال: إلهي ما أحلى ذكرك ! أأست الذي قصدك المؤمنون؟ فنالوا منك ما طلبوا. فقلت أصلحك الله إني منتظر منذ يوم وليلة أريد أن أسمع كلامك. قال قد رأيتك حين أقبلت ولم يذهب روعك من قلبي. قلت وما راعك مني؟ قال فراغك في يوم عملك، وبطانتك في يوم شغلك، وتركت الزاد ليوم معادك، ومقامك على الظنون. فقلت إن الله سبحانه كريم، وما ظن به عبد شيئاً إلا أعطاه. قال نعم إذا وافقته السعادة والعمل الصالح قلت أهنا فية يستراح إليهم؟ قال نعم. قلت هل عندهم دواء يتعالجون به؟ قال إذا كلوا داووا الكلال بالكلال، وحنوا الحث بالأنخال، فتسكن العروق وتهدأ الآلام.

مجنون

قال عبد الله بن حسان المزني: مررت بمجنون مقيد، والصبيان يؤذونه، فقال أطرده عني هؤلاء الأندال. أفدك أبياتاً، تسر بها، فطردتهم عنه فقال أنا جائع فأنتبه بشيء فأكله وقلت له هات فقال: إصبر إذا عضك الزمان ومن ... أصبر عند الزمان من رجله

ولا تمن للصديق تكرمه ... نفسك كي لا تعدّ من خوله
يحمل أثقاله عليك كما ... يجمل أثقاله على جملة
ولست مستقبياً أخاً لا ... تصفح عما يكون من زلل

شاب

قال زياد النميري: دخلت دار الجانين فإذا شاب حسن الوجه، في زاوية مشدود إلى جدار. فقال لي أنقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال فاقراً فقراءت: " اللّهُ لطيفٌ بعباده يزرُق من يشاء وهو القويُّ العزيز " فقال أخبرني ما معنى اللطيف؟ قلت البار الرفيق. قال هذا في وصف الناس. قلت فما اللطيف؟ قال الذي يعرف بلا كيف.

مجنون

قال سكين بن موسى: كنت مجاوراً بمكة وكان بها مجنون ينطق بالحكم. فقلت له أين تأوي بالليل؟ فقال دار الغرباء. فقلت ما أعرف بمكة داراً يقال لها دار الغرباء. قال يا مسكين ! دار الغرباء المقابر. فقلت أما تستوحش في الليل وظلمته؟ قال إذا فكرت في القبر ووحشته هان علي الليل وظلمته. قيل لبعض الجانين: لم سميت مجنوناً؟ فقال أنا مجنون عن معصيته لا عن معرفته.

وقيل لآخر: أنت مجنون؟ قال وأنت عاقل؟ كل الناس مجانين ولكن حظي صار أوفر.
وقيل لآخر: لم أر مجنوناً أعقل منك. قال الجنون ما أنت فيه، تأكل رزق الله، وتطيع عدوه.
وقيل لآخر: أغربت أنت؟ فقال أما عن عقلي فنعيم. وأما عن البلاد فلا.

شاب

قال بعضهم: دخلت دار المجانين بنيسابور، فإذا شاب حسن من أبناء ذوي النعم، مشدود وهو يصيح. فلما
أبصرني قال أتروي من الشعر شيئاً؟ قلت نعم. من أي الشعر؟ قال من شعر البحري. قلت من أي
قصيدة أرويها؟ قال: أي قصيدة كانت. قلت:

ألع برق سرى أم ووء مصباح ... أم ابتسامتها بالمنظر الصاحي
فأنشدته القصيدة. قال وأنا أنشدك قصيدة. قلت نعم. فأخذ حتى بلغ إلى قوله:
إقصرا ليس شأنى الإقصار ... وأفلا لا ينفع الإكثار
إن جرى بيننا وبينك بعد ... أو تتآدت منا ومنك الديار
فالليل الذي عهدت مقيم ... والدموع التي شهدت غزار
فنفرو وجعل يرقص في قنيده ويصيح إلى أن سقط مغشياً عليه!

موسوس

قال عبدان بن أحمد: كان باب خراسان موسوس، وكان يجالس الحسين ابن منصور وكان يدور في المقابر
ويأتي إلى الحسين بن منصور. فجاءه ذات يوم وعلى رأسه دوخلة والصبيان خلفه. فوقف وقال للحسين:
متى أخرج من نفسي؟ متى آيس من نفسي؟ متى أنس بالأنس، واستأنس بالوحش، واستوحش من
جنسي. فقال الحسين:

إذا وسوست في الوقت ... من المأتم والعرس
شهدت النار والجن ... والأفلاك والكرسي

أبو المبارك ميمون

قال لما رمى الحجاج بيت الله بالعدرة وقتل ابن الزبير، أقبل رجل موسوس معتوه عليه عبادة قد شدها إلى
عنقه، فطاف بالبيت سبعا، ثم صعد إلى الحجر، فتكلم بصوت جهوري فأسمع الناس وقال أيها الناس: من
عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني نباته باسمي، أنا ميمون أبو المبارك الجنون فاسمعوا ما أقول لكم. فإني متكلم
ناطق، غير هائب ولا خائف، بل أقول بلسان صواب، ولا أخاف العقاب، بل أرجو الثواب من رب
الأرباب، ذي المن والإفضال. إياه قصدت، وما عنده طلبت. ثم حمد الله فأحسن، ومجد فأكثر. ثم دعى
دعوات وأعرب. فقال: اللهم! لك سجدت الجباه ولك خضعت الأعناق، ولك ذلة الأرباب. وأنت خالق

السموات والأرض بلا تعب ولا مشورة لذوي الألباب. لم يعجزك ما أردت ولا يفتك ما طلبت، ولم يخف عليك شيء لبعده، ولا زدت في معرفة شيء لقربه. تعلم خفيات الضمائر كما تعلم كل شيء بين. أما السموات فلك مدعنة، وأما الأرضون فلك مطيعة، وأما الأفلاك فلك مسيحة. وأما الملائكة ففي عبادتك مجتهدة، وأما النبيون فلرسائلك مبلغة، وأما السحاب فبرحمتك مهطلة. والنار من خوفك تفر وتفرق، والجنة مزينة بالخور والقصور. فيا من العدل قضاؤه ويا من الشكر رضائه، ويا من يتحلى في الجنة لأوليائه قد تكلمت بلسان ينطق بحمدك، وبقلب يخشع لهيبتك، وجوارح أذعنت لعظمتك. فأسألك يا من قصده العباد من كل البلاد، رجاء الثواب وخوف العقاب. أسألك مسألة طالب قد رجا الإجابة، وأيقن بقضاء الحاجة. ان تهلك الحجاج الموثب على بيتك برمي العذرة. والقاتل لأصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم المطهر من كل ريبة. اللهم! إذا ذكرت عبادك بالرحمة، فاذكره بأشد غضب واكمل عطب، انك أنت المستجيب للدعاء.

اللهم! هذا البيت بيتك، وهذا الحرم حرمك، وهذا حجر إسماعيل نبيك. اللهم! أنت ذو الجلال والإكرام.

ثم أتى منى والناس أجمع ما كانوا. فصلى صلاة الفجر ثم قام قائماً على قدميه ثم قال: أيها الناس! أليس إلى الله قصدتم وما عنده طلبتم؟ فإذا سألتموه فابتهلوا. وإذا دعوتموه فاحضعوا. والحجاج فالعنوا فإنه نجس الولادة اللهم! فلا تنجبه من سخطك واحرمه رحمتك التي وسعت كل شيء. إنك ذو الجلال والإكرام. قال فاجتمع الناس إليه وقالوا له: أيها الرجل: من أين أنت؟ قال من بلاد الله. قالوا فأين تأوي؟ قال إلى أرض الله. قالوا: فما قصتك وقصة الحجاج؟ أظلمك بشيء؟ قال نعم. قالوا ماذا؟ قال: قصد بيت ربي فنجسه، وقتل أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأهان. فوجبت اللعنة عليه، واستوجب منا العداوة. ولم أعرف موضعاً أجل من هذه الثنية. موضع ولد فيه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه. فأحييت أن أتعب نفسي من أجله وبالبدعاء عليه. ثم مر يسحب كساءه، وقد تبين فيه أثر الجوع، فاتبعه رجل من التجار فقال السلام عليك يا أبا المبارك! قال وعليك السلام يا وافد الله! قال لي إليك حاجة. قال وما هي؟ قال تأتي منزلي فتأكل كسرة خبز وتشرب شربة من سويق. قال على شرط. قال وما شرطك؟ قال ألا تكون ظالماً ولا عوناً لظالم. فما عملك؟ قال تاجر. قال أفما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يحشر التجار فجراً إلا من اتقى وبر وصدق. قال فإني لا أمدح عند البيع ولا أذم عند الشرى. قال منك يا أخي طاب القرى. قال فأتى إلى رحله فأكل رغيفاً وملحاً ولم يزد عليه بشيء. ثم قال يا أخي! أوصني. قال خف الله خوف حذر، وارجه رجاء متملق، وعليك بأكل الحلال، وبذل النوال لأهل الأقال، وادخل الجنة بسلام. قال فأعجبني ما سمعت من قوله. قال فلما انقضى الموسم أقبل أصحاب الحجاج إلى الحجاج وأخبروه بخبر ميمون وقالوا ما منعنا من أخذه إلا العامة وجلبتهم. والغوغاء وضجتهم. قال فدعا الحجاج بقائد من قواده من خاصة أصحابه. وقال سر في البلاد واطلب هذا الرجل، ولك الجباء والجائزة. قال فأتعبا أبادهم وأحفوا دوابهم في طلب ميمون. وهو من أهل الكوفة ومسكنه بها. فدخل القائد الكوفة. فإذا

هو جالس على مزبلة والصبيان حوله وهو يقول لهم، إنه لم تجر عليكم الأقلام، ولم تكتب عليكم الآثام، فانظروا أن لا تطيعوا إبليس عدوكم فإنه عدو أيكم آدم عليه السلام من قبل وهو الذي أعانته بعد القضاء على الخروج من الجنة. وعليكم بأخلاق الصالحين والافتداء بالمؤمنين، منهم الصديق ذو الحق المبين، ثم عمر الفاروق لم يكن عنده حق الله يزول، ثم عثمان ذو النورين. ثم علي الرضى سال السيف في المناققين الأردياء. فإذا فعلتم ذلك كنتم مع الأولياء. ولم يزل يعظهم. فلما فرغ قالوا له هل لك في طعام طيب تأكله وثوب لين تلبسه؟ فقال كذبتم ما لهذا قصدتم ولا لهذا أردتم. إنما تريدون أن يحملوني أصحاب الحجاج إلى الحجاج وإنما جئتم في طلي فلا تقيديوني ولا تغلوبي فإني لكم سامع مطيع. فأحسنوا رفقته والمشى به فلما اشرف على بلد واسط قال له القائد إذا دخلت على الأمير فسلم عليه. قال فإذا لم أسلم عليه؟ قال يقتلك. قال فإن أنا سلمت عليه وساءلني فصدقته الجواب. أيقطني؟ قال نعم. قال فما كنت بالذي أسلم على رجل عاص قتل أولياء الله ووالى أعداء الله. فهو بغيض لله ثم دخل القائد فأخبره بخبره ففرح الحجاج وقال علي به فأثي به. فوقف بين يديه صامتاً لم يتكلم وعليه عباءة قد شدتها إلى عنقه. فاستحقره الحجاج لما رأى من نحالة جسمه وسوء حاله فأنشأ يقول:

إياك أن تزدرى الرجال وما ... يدريك ما ذا يجنه الصدف
نفس الجواد العتيق باقية ... فيه وإن من جسمه العجف
فالحر حرّ وإن ألم به ... الضر ففيه الحياء والأنف

فلما سمع الحجاج مقالته وشعره علم أنه حكيم. فقال من أنت؟ ومن أين أنت؟ قال عبد الله وابن عبيدة. قال فما معك من السلام؟ قال ما كنت بالذي أسلم ولو سلمت خفت أن لا ترد علي. قال ما اسمك؟ قال أما اليوم فميمون. وما أدري ما اسمي عند ربي إذا دعيت. بالسعادة أَدعى أم بالشقاوة أُنَادى؟ فإن قيل سعد فلان فما أحتاج إلى اسمي، وإن قيل شقي فلان فلا حظ لي عند ربي. قال يا ميمون! إني سألتك عن مسائل فانظر أن يكون الجواب صواباً. فقال يا حجاج إنما لساني بضعة من بدني. فإن أطلق مولاي الصواب نطق به اللسان. وما أنا وأمر لا أطيقه ولا أفعل إلا بحركة ولا حركة إلا بمعين. قال ويحك وما اللسان؟ قال هو الذي يترجم عن الإنسان. قال: وإنسان أنت؟ قال نعم. قال ومن أين علمت أنك إنسان؟ قال لأني أفهم وأعقل وأطيع وأعصي، وآكل بيدي وأشرب تجرعاً وأتغوط خالياً. وليس هذا إلا فعل الإنسان. وقد قال الله عز وجل: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا". فعرفت ما يضر مما ينفع. قال فما خلقتك؟ قال من ماء من عوج من بين لحم ودم. فهو في وقت إزعاجه دم أحمر. وفي وقت نزوله ماء أبيض. فإذا استقر في مستقر قراره صير معه مضغة مخلقة وغير ثم صير منه لحماً وعظماً ودماً وعروفاً وجلداً. فغشي العظم بالجلد. وشبك بالعروق والعصب. وغشى بالجلد وليس في بدن عرق ساكن إلا وتحته ضارب. ولا ضارب إلا وتحته ساكن. فإذا ساكن الضارب قلق البدن. وإذا ضرب الساكن اضطرب، فمن قام بحقها استوجب من الله الثواب. ومن لم يقم بحقها استوجب من الله الزوال. فلا يخرج أحد من بطن أمه حتى يكتب أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد. قال فما تعمل إذا كان قد فرغ من أمرك

؟ قال أعمل لقول النبي صلى الله عليه وسلم إعملوا فكل ميسر لما خلق له. ولما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام ضرب يده على صلبه. فاستخرج ذريته فأراهم إياه. ثم قبض قبضة اليمين فقال هذه إلى الجنة ولا أبالي. ثم قبض القبضة الأخرى وقال هذه إلى النار ولا أبالي. ثم أنزل الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في ذلك قرآناً وقال " وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين " . يعني أصحاب القبضة الأخرى. " فنزل من حميم وتصلية جحيم " فتقدر أن تنكر هذا؟ فقال الحجاج ويحك يا ميمون تحسن مثل هذا وأنت تدعى مجنوناً. فقال إن أهل البطالة إذا نظروا إلى أهل محبة الله سموهم مجانين. وقد مر خاتمة هذه الحكاية من هنا إلى آخرها مرة أخرى فتركناه هنا للتكرار. ثم خلى الحجاج سبيله فمضى مسلماً. ثم قال لابن طاهر:

لنا حاجة والعذر فيها مقدّم ... خفيف معالها مضاعفة الأجر
فإن تقضها والحمد لله وحده ... وإن كانت الأخرى ففي أوسع القدر
بلى إنه الرحمن معط ومانع ... وللحرّ أسباب إلى قدر يجري

الأعرابي والحجاج

ولنختتم هذا المختصر بكلمات الأعرابي مع الحجاج بن يوسف:

قال صعصعة بن صوحان: خرجنا مع الحجاج حاجاً إلى بيت الله الحرام. فبينما نحن في بعض الطريق إذا نحن بصوت أعرابي يلبي بين الغيضة. فلما فرغ من التلبية قال: كلامك اللهم لك، من قال مخلوق هلك، وفي الجحيم قد سلك والجاريات في الفلك، على مجاري من سلك، قد اتبعنا رسلك، ما خاب عبد أملك، أنت له حيث علك فقال الحجاج: تلبية موحد ورب الكعبة. لا يفوتنكم الرجل. فأسرع ما كان حتى أتى بأعرابي على ناقة برحاء بلحاء. فقال الحجاج: من أين أقبلت يا أبا العرب؟ وإلى أين تريد؟ قال جئت من الفج العميق. قال من أي الفجاج أنت؟ قال من العراق وأرضها. قال من أي العراق أنت؟ قال من مدينة الحجاج بن يوسف. قال فما سيرته فيكم؟ قال بسيرة فرعون في بني إسرائيل، يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم. قال فهل خلفته طاعناً أو مقيماً؟ قال بل طاعناً. قال إلى أين؟ قال إلى الحج ولن يتقبل الله منه. قال وهل خلف أحدًا بعده؟ قال نعم أخاه محمداً. قال فما سيرته فيكم؟ قال ظلوم غشوم، واسع البلعوم، عاص مشؤوم. قال له الحجاج هل عرفتي؟ قال الأعرابي اللهم لا. قال الحجاج أنا الحجاج بن يوسف. قال الأعرابي: أشر والله ممن أظلت الخضراء. وأقلت الغبراء. ويشرب من الماء بغيض مبعوض. لعين ملعون. في الدنيا والآخرة. فقال الحجاج والله يا أعرابي لأقتلنك قتلة لم أقتلها أحدًا قبلك. قال الأعرابي إن لي رباً يخلصني وينجيبي منك. قال يا أعرابي إني سأتلك؟ قال إذا والله أخبرك. فقال أتحنن من القرآن شيئاً؟ قال نعم. قال فأسمعنا. فاستفتح وقال: بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يخرجون من دين الله أفواجاً. قال ليس هكذا يا أعرابي. قال وكيف؟ قال يدخلون في دين أفواجاً. فقال الأعرابي قد كان ذلك قبل أن يتولى الحجاج. فلما ولي جاوروا يخرجون من دين الله. فضحك الحجاج حتى استلقى على

قفاه. ثم قال ما تقول في محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال وما عسى أن أقول في محمد صلى الله عليه وسلم صاحب القضيبي والناقة والحوض والشفاة وزمزم والسقاية، ومن قرن الله اسمه باسمه. يدعى في كل يوم وليلة عشر مرات في الأذان والإقامة. قال فما تقول في أبي بكر الصديق رضي الله عنه. قال وما عسى أن أقول في صديق في السماء وصديق في الأرض وصاحبه في الغار وأسلم وهو يملك ثمانين ألف دينار أنفقها في سبيل الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومع ذلك يا حجاج يوم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم "جاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله". وقال عليه السلام سمعتم ما قال ربكم تبارك وتعالى إلا من كان عنده شيء فليأتني بما أمكنه فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فأتى يجتمع ما عنده. وقام عمر رضي الله عنه فأتى بنصف ما عنده. وقام عثمان رضي الله عنه وأتى بثلث ما عنده. فقالوا خذ يا رسول الله. والله عندنا المرید. فنزل جبريل عليه السلام وقال يا رسول الله إن ربك العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ أبا بكر مني السلام وقل له أنا راض عنه، فهل هو راض عني؟ فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه. فبكى أبو بكر بكاءً شديداً وقال يا رسول الله أنا راض راض فوعد الله أن يرضيه وذلك قوله تعالى: "ولسوف يعطيك ربك فترضى". قال الحجاج: فما تقول في عمر بن الخطاب؟ قال وما عسى أن أقول في فاروق السماء وفاروق الأرض. فرق بين الحق والباطل على لسانه. وإذا كان يوم القيامة يأتي الحق والإسلام ويتعلقان فيه فيجزع عمر رضي الله عنه منهما فيقولان له لا تجزع فحن الحق والإسلام اللذان كنت تقوم بنا في الدنيا. ومن ذلك يا حجاج إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند حفصة فدخلت عليه صفية فقال لها لا تخبري عائشة فخرجت وأخبرت أم سلمة. فأخبرت أم سلمة عائشة رضي الله تعالى عنهن. فنظاهر عليه أزواجه فجاءهن عمر مغضباً فقال لهن: لم تنظاهرن على رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ربه أن طلقكن أن يبدله أزواجاً. فنزلت الآية كذلك موافقةً لقول عمر رضي الله عنه. قال الحجاج فما تقول في عثمان بن عفان؟ فقال الأعرابي وما عسى أن أقول في حافر بئر أرومة. ومجهز جيش الفطرة. ومن سبح في كفه الحصى. واستحيت منه ملائكة السماء. ومن ذلك يا حجاج يوم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان جالساً على الأيسر وركبته

مكشوفة. فدخل أبو بكر والنبي عليه الصلاة والسلام على حاله. فلما استؤذن لعثمان بادر له وغطى ركبته فدخل عثمان رضي الله عنه وجلس جلسة المريض يمزحه فظفر أبو بكر إلى عمر وعمر إلى أبي بكر. فقالا يا رسول الله تغطيت من عثمان وعثمان صهرك ونحن أصهارك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أغطي وأستحي ممن تستحي منه الملائكة؟ فقال الحجاج: ما تقول في حق علي بن أبي طالب؟ قال الأعرابي: وما عسى أن أقول في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته البتول. ومن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي إن الله ألف بين روحي وروحك وكان عرشه على الماء وزوجك فاطمة واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام. فقال الحجاج: فما تقول في الحسن والحسين؟ قال الأعرابي وما عسى أن أقول فيمن ولدتهما البتول، ورباهما الرسول وراعهما جبرائيل فهل لهما مثل وعديل؟ فقال الحجاج فما تقول في معاوية؟ قال وما عسى أن أقول في خال المؤمنين وكاتب وحي رسول رب العالمين ورديف رسول

الله صلى الله عليه وسلم على بغلته دلدل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يلبي منك يا معاوية ؟ فقال بطني يا رسول الله. فقال النبي عليه الصلاة والسلام ملأه الله علماً وحلماً. فقال الحجاج ما تقول في يزيد بن معاوية ؟ قال الأعرابي كما قال من هو خير مني لمن هو شر منك. قال الحجاج ومن هو خير منك وشر مني ؟ فقال الأعرابي موسى عليه السلام خير مني، وفرعون شر منك. قال الحجاج فما قال فرعون لموسى ؟ قال قال فما بال القرون الأولى ؟ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. فقال الحجاج: فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال الأعرابي: ذلك والله أخطأ خطيئة ملأت بين السماء والأرض. فقال الحجاج وكيف ذلك ؟ قال الأعرابي: ولاك على أمور المسلمين تحكم في أموالهم ودمائهم بجزور وظلم. قال فعند ذلك هم الحجاج بالسيف وأشار إلى سيفه ليضرب عنق الأعرابي. قال فحرك الأعرابي شفتيه. فخر السيف ناحية، والسيف ناحية. وولى الأعرابي ذاهباً. فقال الحجاج: بحق معبودك ألا أخبرتني بأي دعاء دعوت ؟ فقال الأعرابي: بدعاء ان علمت إياه غفر الله لك ما عليك من حسابهم من شيء. وما من حسابك عليهم من شيء. ثم قال الأعرابي يا حجاج ! قلت: فدخل أبو بكر والنبي عليه الصلاة والسلام على علي حاله. فلما استؤذن لعثمان بادر له وغطى ركبته فدخل عثمان رضي الله عنه وجلس جلسة المريض يمزحه فنظر أبو بكر إلى عمر وعمر إلى أبي بكر. فقالوا يا رسول الله تغطيت من عثمان وعثمان صهرك ونحن أصهارك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أغطي وأستحي ممن تستحي منه الملائكة ؟ فقال الحجاج: ما تقول في حق علي بن أبي طالب ؟ قال الأعرابي: وما عسى أن أقول في ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته البتول. ومن قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي إن الله ألف بين روعي وروحك وكان عرشه على الماء وزوجك فاطمة واختارك لها من قبل أن يخلق الدنيا بألف عام. فقال الحجاج: فما تقول في الحسن والحسين ؟ قال الأعرابي وما عسى أن أقول فيمن ولدتهما البتول، ورباهما الرسول وراعاهما جبرائيل فهل هما مثل وعديل ؟ فقال الحجاج فما تقول في معاوية ؟ قال وما عسى أن أقول في خال المؤمنين وكاتب وحي رسول رب العالمين وريفي رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته دلدل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يلبي منك يا معاوية ؟ فقال بطني يا رسول الله. فقال النبي عليه الصلاة والسلام ملأه الله علماً وحلماً. فقال الحجاج ما تقول في يزيد بن معاوية ؟ قال الأعرابي كما قال من هو خير مني لمن هو شر منك. قال الحجاج ومن هو خير منك وشر مني ؟ فقال الأعرابي موسى عليه السلام خير مني، وفرعون شر منك. قال الحجاج فما قال فرعون لموسى ؟ قال قال فما بال القرون الأولى ؟ قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى. فقال الحجاج: فما تقول في عبد الملك بن مروان ؟ فقال الأعرابي: ذلك والله أخطأ خطيئة ملأت بين السماء والأرض. فقال الحجاج وكيف ذلك ؟ قال الأعرابي: ولاك على أمور المسلمين تحكم في أموالهم ودمائهم بجزور وظلم. قال فعند ذلك هم الحجاج بالسيف وأشار إلى سيفه ليضرب عنق الأعرابي. قال فحرك الأعرابي شفتيه. فخر السيف ناحية، والسيف ناحية. وولى الأعرابي ذاهباً. فقال الحجاج: بحق معبودك ألا أخبرتني بأي دعاء دعوت ؟ فقال الأعرابي: بدعاء ان علمت إياه غفر الله لك ما عليك من حسابهم من شيء. وما من حسابك عليهم من شيء. ثم قال الأعرابي يا حجاج ! قلت:

اللهم ! يا رب الأرباب. ويا معتق الرقاب. ويا هازم الأحزاب. ويا منشىء السحاب. ويا منزل الكتاب. ويا رازق من تشاء بغير حساب. يا ملك، ويا تواب. يا راد موسى إلى أمه. ويوسف إلى أبيه. أسألك أن ترزقني وتكفيني شره إنك على كل شيء قدير.